المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للدعوة الإسلامية - بالمدينة المنورة
قسم الاستشراق
شعبة الدراسات الإسلامية عند المستشرقين
(الدراسات الحديثية)

شبهات المستشرقين حول إسناد الحديث (عرض ونقد)

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب :
يحيى عبد الهادي محمد

إشراف الدكتور
عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

١٤٠٨ - ١٤٠٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة .

التمهيـــد

المقدمة تشتمل على :

أ ـ أهمية الموضوع وسبب اختيارى له .

ب ـ الدراسات السابقة .

جـ ـ منهج البحث وموضوعاته .

د ـ كلمة التقدير .

التمهيد ويشتمل على :

أ ـ تعريف الإسناد والأدلة عليه .

ب ـ تعريف الشبهة والاستدلال عليه .

جـ ـ بيان أهمية الإسناد عند المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية الموضوع وسبب اختياري لـــــــه

الحمد لله أحمده سبحانه واستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آلـه وأصحابه أجمعين . وبعـــــد :

فإن للإسلام مصدرين أساسيين لا ينفك أحدهما عن الآخــــر فالمصدر الأول : القرآن الكريم الذى حفظه الله من كل تحريف لأنه معجزة الله تعالى الخالدة على ظهر البسيطة منذ نزوله حتى قيام الساعة .

أما المصدر الثانى : فهو السنة المطهرة على صاحبها أفضـــل الصلاة والتسليم،فقد حفظها الله وهيأ لها رجالا يقومون على خدمتهـــا ويميزون صحيحها من سقيمها ، ويدحضون كل تحريف وتشكيك نحوها .

وقد تكفل الله بحفظ هذين المصدرين بقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] .

ولكن مما لا شك فيه فإن للباطل جولةً وصولة أمام الحق يناهضـــه فى تقدمه وانتشاره وفى شؤونه كلها ويحاول بشتى الوسائل إيقافه ، سواء كان ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر .

لذا فإن أهمية البحث فى شبهات المستشرقين تجاه أى من هذين المصدرين يرجع إلى أن علماء أوروبا قد تناولوا الإسلام والمسلمين بالدراسة، وبالأخص القرآن والسنة النبوية سندا ومتنا ــ منذ عصور متقدمة ثم تطورت هذه الدراسة رويدا حتى أصبحت مختلفة الاتجاهات،مما جعلهم يختلفـون فى تناولها والحكم عليها فنتج من ذلك أن بعضهم قد ملكه الهوى فضـــل وبعضهم حاول أن يكون منصفا بالصدع بالحق الذى هدى إليه بعـــد البحث والتنقيب .

---

(١) سورة الحجر آية (٩) .

ومهما يكن فإن الدراسة للإسلام التي تتميز بالجد والعمق في الغرب بدأت متأخرة،وذلك عندما أخذ الغرب ببسط سلطانه الاستعماري على البلاد الإسلامية مصطحبين معهم بعض علماء أوروبا لكي يدرسوا تراث العالم الإسلامي ـ شاملة لدراسة الإسلام كله ـ المتعمق في قلوب أهله ، ووقوفه في وجه الحملات الصليبية والانتصار عليها ، وكانت غاية الدراسة التنقيب عن هذا الإسلام وتراثه والتعرف على سر حيويته وبقائه ، ومن ضمن هؤلاء المستشرقين مجموعة اهتمت بالسنة النبوية بغية الوصول إلى مآربهم المختلفة التي يقصدونها تجاه الإسلام ونبيه وسنته المطهرة .

وقد رأيت أن أتناول جانبا من جوانب السنة،حاول بعض المستشرقين أن يبثوا شبههم تشكيكا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريقه ومن ثم الوصول إلى القول بأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ليست صحيحة ، وأنها مختلقة من قبل علماء المسلمين،وهذا الجانب هو الإسناد .

وسأذكر بعضا من مقولات المستشرقين حول الإسناد ليتبين لنا حقيقة أمرها،وفي ذلك يقول المستشرق " غاستون ديت ":«وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض»ويقول: " ولسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن الرسول صلى الله عليه وسلم من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم للحديث "(١)

كما اختلفت آراء المستشرقين حول نشأة الإسناد وادعاء تأخره واختلافهم في المراد بالفتنة التي ذكرها ابن سيرين في قوله:"فلما وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم "(٢) فبعضهم أخرها قرنا وبعضهم نصف قرن

---

(١) انظر السنة قبل التدوين (ص ٢٥٤) نقلا عن التاريخ العام للديانات والإسلام (ص ٦٦) .

(٢) أنظر مقدمة صحيح مسلم (١ / ١٧) [illegible]

تبعا لآرائهم التي يهوون إليها لكي يحكموا على تأخر الإسناد عن عصر النبوة والصحابة،وهذا راجع إلى عدم الدقة والتثبت فى البحث العلمى.(١)

وهكذا تتضح أهمية الموضوع ولاسيما أن أقوال المستشرقين قد تضاربت حول بداية الإسناد والاهتمام به وصحة الأسانيد التى اعتمد عليها رواة الحديث .

وقد اخترت هذا البحث لأنه أولا: دفاع عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ سندا ومتنا ــ وثانيا : ارتباط البحث بالمستشرقين،لأن الهدف من دراسة الاستشراق البحث عما يتناوله بعض المستشرقين حول تراثنا الإسلامى ، ومن ثم تصحيح المفاهيم التى أخطأ فيها المستشرقون حول سند الحديث ، وذلك بالبحث عن الحق بالأدلة والبراهين التى تهدى إليه .

---

(١) انظر بحوث فى تاريخ السنة المشرفة (ص ٤٧ ــ ٥٦) ودراسات فى الحديث النبوى لمحمد الأعظمى (ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠).

الدراسات السابقة

بعد البحث والتنقيب حول الدراسة المتعلقة بالموضوع رأيت أن هناك بعض الكتب تحدثت عن الإسناد وذكرت بعض الشبهات مع مناقشة بعض منها لأن تلك الكتب لم يكن القصد من تأليفها مناقشة الشبهات وإنما كان الغرض منها تاريخ التدوين أو تاريخ السنة المشرفة ثم تعرض كاتبوها لبعض الشبهات عرضا ، فهم ناقشوا بعض الشبهات لأن المقام كان يستدعى المناقشة .

ومن الكتب التى استعرضتها فى هذا الموضوع " دراسات فى الحديث النبوى " للدكتور محمد الأعظمى، حيث ذكر — وفقه الله — بعض الشبهات وتعرض لشبهة المستشرق شاخت حول الأسانيد الفقهية وناقشها مناقشة تامة .

أما الشبهات الأخرى كمقولة «كايتانى» حول بداية الإسناد فى عهد عروة بن الزبير وعهد ابن إسحاق ووصوله أن الجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة فى كتب السنة مختلقة من قبل المحدثين " فلم يناقشها " .(١)

وشبهة رويسون التى تقول " إن الذين لم يروا النبى صلى الله عليه وسلم بدؤوا يقصون عنه " .(٢)

أما الكتاب الآخر فهو " بحوث فى تاريخ السنه المشرفة " للدكتور أكرم ضياء العمرى، فقد ذكر بعض الشبهات المتعلقة بالإسناد ولم يناقش إلا لفظ الفتنة التى اختلف فيها بعض المستشرقين ثم عرض بعضا من الشبهات عرضا دون الرد عليها".(٣)

---

(١) انظر دراسات فى الحديث النبوى (٢ / ٣٥٣) وما بعدها .

(٢) انظر Robson, J.: The Isnad, p. 22.

(٣) انظر بحوث فى تاريخ السنة المشرفه (ص ٥٣) .

أما كتاب" السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى " للدكتور مصطفى السباعى فقد ذكر مجموعة من الشبه،كما أعطى لمحة عن زيارته لأوروبا والتقائه مع بعض المستشرقين المتخصصين بالدراسات الإسلامية،وقد عالج — رحمه الله — بعض الشبهات المتعلقة بالسنة وذلك لما يتطلبه موضوعه ، فهذا لا يكفى فى الدراسات السابقة .

وبعد هذا العرض للدراسات السابقة،رأيت أن هؤلاء الباحثين لم يتناولوا الشبهات كلها وإنما تناولوا جزءا منها،وسأقوم بتغطية بعض الجوانب التى لم يتطرقوا إليها المتعلقة بالإسناد،سواء ما يتعلق بالشبهات الموجهة إلى نقاد الحديث أو نشأة الإسناد أو اختلاقه .

وسأقوم بإذن الله تعالى بجمع هذه الشبهات ثم دراستها دراسة نقدية محتكما إلى منهج المحدثين معززا ذلك بالأدلة الواردة عن نقاد رواية الحديث .

كما أننى سأقف على ما قاله المستشرقون أنفسهم حول الإسناد بقدر الاستطاعة من خلال كتبهم وبالأخص الكتب المترجمة عنهم .

وبالله التوفيق .

منهـــج البحـــــث :

سيكون منهجى فى البحث مرتكزا على التثبت من تلك الشبهـــات بأخذها من مصادرها الاستشراقية ـ قدر الإمكان ـ وسيكون أخذى منها عن طريق الترجمة عن طريق من أستعين به فى هذا الجانب أعــنى الترجمة .(١)

أما نقد الشبهات فسيكون من خلال عرضها على منهج المحدثين فى قبول الأخبار وردها،والروايات الواردة عنهم فى ذلك المنهج ، أو الروايات التاريخية التى ترد تلك الشبهات .

---

(١) ١ ـ الدكتور أحمد سعاد : ترجم لي مقالات من كتاب حوليات الإسلام للمستشرق كا يتانى .

٢ ـ الاستاذ مازن مطبقانى : ترجم لى مقالة من كتاب العــرب فى التاريخ للمستشرق برناد لويس.

٣ ـ صلاح المصـــرى : ترجم لى إسناد الحديث للمستشرق رونسون .

٤ ـ أسامة المصـــرى : ترجم لى مقالات استعمال الإسناد عند ابن إسحاق لروبسون .

حجية الأحاديث مكتبة جون ريلاند .

رواة الحديث ، ، .

تاريخ الإسلام لـ : دورى

٥ ـ ضياءالدين الأمريكي : مقالات من كتاب دراسات فى الحديث النبوى للمستشرق جولد تســيهر

٦ ـ جلال مظهر : مقالة : الإسلام فى الكوميديـــا الإلهيـــة .

موضوعات البحث :

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

أما المقدمة فتتكون مما يأتى :

أ ـ أهمية الموضوع وسبب اختياره .

ب ـ الدراسات السابقة .

جـ ـ منهج البحث وموضوعاته .

أما التمهيد فيشتمل على ما يأتى :

أ ـ تعريف الإسناد والأدلة عليه .

ب ـ تعريف الشبهة والاستدلال عليه .

جـ ـ بيان أهمية الإسناد عند المسلمين .

فصول البحث :

الفصل الأول : الإسناد فى عصر النبوة والصحابة ونقد شبهات المستشرقين حول نشأته .

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العناية بالإسناد فى عصر النبوة والصحابة .

المبحث الثانى : شبهات المستشرقين حول نشأة الإسناد ومناقشتها .

المبحث الثالث : موقف المستشرقين من الفتنة ودراسة شبهاتهم فى ذلك وعلاقتها بالإسناد .

الفصل الثانى : الإسناد فى عصر التابعين وتابعيهم ونقد شبهات المستشرقين حوله .

ويتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقف التابعين حول الإسناد ونقد شبهة المستشرقين الموجهة إلى نقاد الحديث .

المبحث الثانى : نقد شبهة المستشرقين المتعلقة بالجزء الأعلى من الإسناد .

المبحث الثالث : دعوى المستشرقين اعتباطية الأسانيد ومناقشتهم .

الفصل الثالث : منهج المستشرقين فى نقد الإسناد (عرض ونقد) ،

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : بعض مقاييس المستشرقين فى معرفة الروايات الصحيحة والضعيفة ونقدها .

المبحث الثانى : اعتماد المستشرقين على المصادر غير المتخصصة فى الحديث ونقدهم فى ذلك .

الخاتمة .

الفهارس .

المراجع .

كلمـــة شـــكر

وبعد، لا يفوتني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر الله أولا ثم أشكر الأستاذ المشرف الدكتور / عبدالله الرحيلي على ماقدم لي من توجيه في هذا البحث .

كما أشكر أساتذتي الكرام الذين كان لهم الفضل بعد الله في توجيهي، وأشكر إخواني أسرة قسم الاستشراق وكل من قدم لي يد المساعدة، فلا أملك إلا أن أقول لهم " جزاهم الله خيرا " ووفقني وإياهم للعمل الصالح إنه على ما يشاء قدير . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

التمهيـــــــــد

أ ـ تعريف الإسناد والأدلة عليه .

ب ـ تعريف الشبهة والاستدلال عليه .

جـ ـ بيان أهمية الإسناد عند المسلمين .

تمهيـــــــــد :

تعريف الإسناد :

الإسناد لغة : قال صاحب القاموس : " سند إليه سنودا أو تساند استند وفى الجبل : صعد ، كأسند وأسندته أنا فيهما " (١)

قال ابن الأثير فى حديث عبد الله بن أنيس : " ثم أسندوا إلى شربة " أى صعدوا " . (٢)

الإسناد فى الاصطلاح : هو رفع الحديث إلى قائله . (٣)

وأما السند فقال البدر ابن جماعة والطيبى : هو الإخبار عن طريق المتن ، قال ابن جماعة : وأخذه إما من السند ، وهو ما ارتفع وعلا من سفح الجبل، لأن المسند يرفعه إلى قائله . أو من قولهم : فلان سند ، أى معتمد . فسمى الإخبار عن طريق المتن سندا لاعتماد الحفاظ فى صحة الحديث وضعفه عليه . (٤)

ذكر الإسناد فى القرآن والسنة :

وردت أدلة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة تشير إلى الإسناد واستعماله فى عصر النبوة والصحابة :

١ ـ فمن القرآن الكريم قوله تعالى : (ايتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) . (٥)

وروى فى تفسير هذه الآية (أو أثارة من علم) إسناد الحديث (٦)

---

(١) القاموس المحيط (١/٣١٤) مادة " سند " .
(٢) النهاية لابن الأثير (٢/٤٠٨) .
(٣) تدريب الراوى (١/٤٢) .
(٤) المرجع نفسه (ص ٤١) .
(٥) سورة الأحقاف آية (٢) .
(٦) التدريب (٢/١٦٠) ، المدخل للحاكم (ص ٢٧) شرف أصحاب الحديث (ص ٣٩) .

واختار البصرى وابن كثير هذا المعنى ليكون دليلا على هذا العلم[١]

وقد قال أبو حيان فى البحر المحيط : " فليس لهم أى المشركون مستند من نقل أو عقل ".[٢] أى على شركهم .

٢ — قال تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)[٣]

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى :

حول هذه الآية : " هو قول الرجل: حدثنى أبي عن جدى ".[٤]

٣ — قال تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)[٥]

قال الحاكم : (ت ٤٠٥ هـ)

حول هذه الآية : " قرن تبارك وتعالى الرواية بالسماع عن نبيه ثم أدائه إلى من وراءه ، وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نضر الله امرأ سمع مقالتى ".[٦]

فالآية دالة على فضل اتصال السند ودعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على صيانة أحاديثه ، وقد قال الإمام مسلم فى هذا الحديث : " قد يشترط النبى صلى الله عليه وسلم على سامع حديثه ومبلغه حين دعا له ، أن يعيه ويحفظه ويؤديه كما سمعه ".[٧]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ١٥٣) .
(٢) البحر المحيط (٨ / ٥٥) .
(٣) سورة الزخرف آية (٤٤) .
(٤) المدخل للحاكم (ص ٢٧) والرحلة (ص ٣٩) .
(٥) سورة التوبة آية (١٢٢) .
(٦) المدخل (ص ٢٨) والحديث أخرجه الترمذى رقم الحديث ٢٦٦ وابن ماجه (١ / ٨٤) .
(٧) التمييز (ص ١٧٩) .

٤ ــ قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)[١] فالآية الكريمة قاعدة عظيمة فى الجرح والتعديل ، وهى تأمر السامع أن يبحث عن الخبر ويتثبت منه ، كما أنها تأمر بالنظر إلى توفر عدالة المخبرين من الرواة وعدمها ، فتميز بذلك صحة الخبر من عدمه .

٢ ــ ومن السنة :

أ ــ حديث ثابت بن قيس وفيه " تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم "[٢] وهذا الحديث صريح فى تناقل الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه كذلك إشارة إلى نشأة الإسناد فى عصره صلى الله عليه وسلم .

قال العلائى :

" هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى وعد أمته بوقوعها وأوصى أصحابه أن يكونوا نقلة العلم ، وقد امتثل الصحابة رضى الله عنهم أمره ، ولم يزل ينقل عنه أفعاله وأقواله ، وتلقى عنهم التابعون ، ونقلوه إلى أتباعهم ، واستمر العمل على ذلك فى كل عقد إلى الآن "[٣].

ب ــ وقال صلى الله عليه وسلم : " ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب "[٤]

قال أبو حاتم البستى : (ت ٣٥٤ هـ)

حول هذا الحديث : دليل على استحباب معرفة الضعفاء من المجروحين،ولا يتهيأ للشاهد أن يبلغ الغائب ماشهد إلا بعد

---

(١) سورة الحجرات آية (٦) .
(٢) المسند (٣٤٩/٤) وأبو داود (٦٧/٤) رقم ٣٦٥٩
(٣) فيض القدير
(٤) صحيح البخارى (فتح البارى) (١٩٩/١)

المعرفة بصحة ما يؤدى إلى من بعده ، وأنه متى ما أدى إلى من بعده مالم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه لم يؤدعنه شيئا ، وإن لم يميز الثقات من الضعفاء ولم يحط علمه بأنسابهم لا يتهيأ له تخليص الصحيح من السقيم ، فإذا وقف على أسمائهم وأنسابهم والأسباب التى أدت إلى نفى الاحتجاج بهم تنكب عن حديثهم ، ولزم السنن الصحيحه فيرد بها حينئذ حتى يكون داخلا فى جملة من أمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ الشاهد الغائب (١)

٣ ــ أقوال الصحابة رضى الله عنهم حول إسناد الحديث :

سبق أن أشرت إلى أن الإسناد قد نشأ منذ عصره صلى الله عليه وسلم وكان الصحابة رضى الله عنهم إذا رووا الحديث صدروه بعبارة تشعر بتحمل ذلك الحديث فيقول أحدهم مثلا: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . . . إلى غير ذلك من العبارات الأمر الذى يؤكد ماقلت إن الإسناد قد بدأ مبكرا،وفيما يلى بعض الأمثلة من أقوال الصحابة حول الإسناد .

١ ــ يقول البراء بن عازب رضى الله عنه : (ت ٧٢ هـ)

"ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يحدثنا أصحابنا ، وكنا مشتغلين فى رعاية الإبل ،وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعونه من أقرانهم ، ومن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من يسمعونه منه". (٢)

---

(١) المجروحين (١/ ١٦) .
(٢) معرفة علوم الحديث (ص ١٤٠) .

٢ — روى عن عمر و عبدالله بن مسعود : (ت ٢٣ هـ / ت ٣٢ هـ)
قولهما : "كفى بالمرء كذبا ، أن يحدث بكل ما سمع" . (١)

يقول الرامهرمزى : (ت ٣٦٠ هـ)
" ولهذا رأينا إقلالهم من رواية الأحاديث واستثقالهم لها لأنهم يخافون ألا يكونوا قد حفظوا الأحاديث ، فيكذبون فيها : أى يخطئون ". (٢) وقد كانوا يحافظون على الأحاديث ، ويروونها لمن لم يسمعها ، كما سمعوها ، ويحضون على ذلك .

٣ — يقول أبو سعيد الخدرى : (ت ٧٤ هـ)
" تذاكروا الحديث ، فإن الحديث يهيج بعضه بعضا " . (٣)

٤ — ورد أن عمر بن الخطاب : (ت ٢٣ هـ)
مر بحسان بن ثابت وهو ينشد الشعر فى المسجد فلحظ إليه . فقال حسان : قد كنت أنشد فيه مع من هو خير منك ، ثم ألتفت إلى أبى هريرة فقال : أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ياحسان أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس قال : نعم ". (٤)

قال أبو حاتم : (ت ٣٥٤ هـ)
" فى هذا الخبر كالدليل على الأمر بجرح الضعيف،لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لحسان بن ثابت : أجب عنى وإنما أمر أن يذب عنه ماكان يقول عليه المشركون ، فإذا كان فى تقول المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمر أن يذب عنه وإن لم يضر كذبهم المسلمين ، ولا أحلوا به الحرام ، ولا حرموابه

(١) صحيح مسلم (١ / ٥٩ — ٦٠) .
(٢) المحدث الفاصل (ص ٥٥٣ — ٥٥٨) .
(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ١٤) .
(٤) صحيح البخارى فتح البارى (١ / ٥٤٨) ك الصلاة باب الشعر فى المسجد ٦٨ باب النهى عن الحديث بكل ما سمع .

الحلال ، كان من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المسلمين الذى يحل الحرام ، ويحرم الحلال بروايتهم أحرى أن يؤمر بذب ذلك الكذب عنه صلى الله عليه وسلم " . (١)

يقول رفعت فوزى :

" ولهذا كله ، جدوا غاية الجد ، وأخذوا بكل الوسائل ، التى تحقق لهم أخذ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذا صحيحا ، وأداءها أداء سليما ، لا تبديل فيه ولا تغيير ، ولا زيادة ولا نقصان". (٢)

أقوال التابعين حول الإسناد :

لم يكن التابعون أقل اهتماما بالإسناد من الصحابة رضى الله عنهم بل كانوا أكثر التزاما بذكره ورأوا ضرورة ذكره خصوصا بعد ما تدب الشك إلى عدالة بعض الرواة،ومما قالوه فى الإسناد :

١ — يقول عبد الله بن المبارك : (ت ١٨١ هـ)
" الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء " فإذا قيل من حدثك ؟ بقى ساكتا . (٣)

٢ — وروى الإمام مسلم عن ابن سيرين أنه قال :
" لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة ، قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم " . (٤)

٣ — وقال ابن المبارك : (ت ١٨١ هـ)
" إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم " . (٥)

---

(١) المجروحين (١ / ١١) .
(٢) توثيق السنة (ص ٢٦) .
(٣) الكفاية (ص ٥٦ ، ٥٧) .
(٤) مقدمة مسلم : باب الإسناد من الدين (١ / ٨٧) .
(٥) المرجع نفسه .

٤ — وقال الإمام الشافعى : (ت ٢٠٤ هـ)

" يكون المحدث عالما بالسنة ، ثقة فى دينه معروفا بالصدق فى حديثه ، عدلا فيما يحدث ، حافظا لكتابه إن حدث من كتابه ، يؤمن من أن يكون مدلسا يحدث عمن لقي بما لم يسمع ، أو يحدث عن النبى . صلى الله عليه وسلم بما يحدث الثقات بخلافه عنه عليه الصلاة والسلام ". (١)

٥ — وقال الزهرى : (ت ١٢٥ هـ)

مخاطبا أهل الشام : " يا أهل الشام مالى أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ، ولا خطم ". (٢)

٦ — وقال أبو سعيد الحذاء :

" الحديث درج ، والرأى مرج ، فإذا كنت فى المرج فاذهب كيف شئت ، وإذا كنت فى درج فانظر أن لا تنزلق ، فيندق عنقك ". (٣)

٧ — وقال شعبة : (ت ١٦٠ هـ)

" كل حديث ليس فيه حدثنا ، وأخبرنا ، فهو مثل الرجل فى فلاة معه البعير ليس له خطام " . (٤)

فهذه بعض الأدلة الدالة على اهتمام التابعين رحمهم الله بالإسناد وجعلوه الركيزة الكبرى لتصحيح الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن حبان : (ت ٣٥٤ هـ)

سمعت هارون بن عيسى بن السكين ببلد الموصل قال سمعت أحمد ابن منصور الرومانى يقول : " كنا عند أبى نعيم نسمع مع أحمد بن حنبل ،

---

(١) الإلماع (ص ٧٦ ، ٧٧) .
(٢) الجرح والتعديل
(٣) التذكرة (١/ ٢٥٣) .
(٤) المجروحين (١/ ٢٦ ، ٢٧) والتذكرة (١/ ٨٤٥) .

ويحيى بن معين . قال : فجاء يوما يحيى ومعه ورقة قد ثبت فيها أحاديث من أحاديث أبي نعيم ، وأدخل في خلالها ماليس من حديثه ، وقال أعطه بحضرتنا حتى يقرأ وكان أبو نعيم إذا قعد في تلك الأيام للتحديث كان أحمد على يمينه ، ويحيى على يساره ، فلما خف المجلس ناوله الورقة ، فينظر فيها كلها ثم تأملني ، ونظر إليها ثم قال — وأشار إلى أحمد — أما هذا فآدب من أن يفعل مثل هذا ، وأما أنت فلا تفعلن ، وليس هذا إلا من عمل هذا ، ثم رفس يحيى رفسة رماه إلى أسفل السرير ، وقال : على تعمل ؟ فقام إليه يحيى وقبله ، وقال : جزاك الله عن الإسلام خيرا ، ومثلك من يحدث ، إنما أردت أن أجربك .(١)

وهكذا كان العلماء الأجلاء ، لهم معرفة كبيرة بالإسناد ، فحافظوا على الأحاديث بواسطته ، وبذلك صانوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من الدس والكذب فيها .

(٢) تعريف الشبهة :

الشبهة لغة : الالتباس ، أو كل مايثير الشك والارتياب في الأمر يقال : شبه عليه الأمر أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره ، وأمور مشتبهة وشبهة كمعظم : مشكلة .

والشبهة والمتشبه شرعا : ما التبس أمره فلا يدرى أحلال هو أم حرام ، وحق هو أم باطل ، وجمعه شبه .(٢)

الأدلة على ورود ذكر الشبهة في السنة المطهرة :

قوله صلى الله عليه وسلم : إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام .(٣)

(١) المجروحين (١ / ٣٣) .
(٢) القاموس المحيط (٤ / ٢٨٦) فصل الشين باب الهاء .
(٣) البخاري (١ / ٢٢٦ ، ٤ / ٢٩٠) كتاب البيوع ، باب الحلال والحرام

(٣) أهمية الإسناد :

لقد عنيت الأمة الإسلامية بحفظ السنة وصيانتها ، على أدق مايمكن من المناهج البشرية ، بل وتفردت هذه الأمة فى منهجها العلمى بخصوص السنة ، حيث وضعت لحفظها أصولا ، وقواعد دقيقة المنهج ، لم يوجد لها المثيل فى الأمم السابقة ، فهذه خصيصة المسلمين ، ولا سيما نقل الأخبار بالإسناد ، حيث لم تعن الأمم السابقة بنقل الرواية بالإسناد والتحرى فى معرفة الرجال وأحوالهم ، من حيث العدالة والضبط ، فكانت الحوادث التاريخية تنقل على علاتها ، والأديان ، والمذاهب السابقة تعود إلى التلقى من أفواه النقلة وكتاباتهم دون السؤال عن الإسناد ، والبحث عنه فضلا عن دراسته ودرجته ، لكن الله تعالى لما جعل هذا الدين خاتمة الرسالات والأديان ، وتعهد بحفظه وصونه ، اختص هذه الأمة بأن هيأها لحفظ كتابه وصيانة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولذلك ضمن حفظها ، وسخر الله رجالا يقومون على دراستها ، فوضعوا قواعد متينة علميه لا يمكن أن توجد فى أى علم من العلوم الأخرى .

يقول ابن حزم : " نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ، خص الله به المسلمين ، دون سائر الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهر " . (١)

ويقول أبو على الجبائى : " خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبل . الإسناد ، والأنساب ، والإعراب " . (٢)

ولا شك أن الإسناد هو الوسيلة للوصول إلى معرفة الحديث ، والعمل به ، إذ لا يمكن معرفة الصحيح من الضعيف إلا به ، لذلك فقد اهتم

---

(١) الفصل فى الملل لابن حزم (٢ / ٨٢) .

(٢) تدريب الراوى (ص ٣٨٣) والباعث الحثيث هامش (ص ١٨٩ ـــ ١٩٠) .

به الصحابة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن لا قواربَّهم ، ثم ازداد السؤال عنه بعد وقوع الفتن فى العقد الرابع من القرن الأول ، والتى أدت إلى التمزق فى كيان الأمة الإسلامية ، وظهرت الفرق والآراء المتعصبة ، مما أدى إلى ظهور الكذب والوضع فى الحديث ، ومن هنا جعل العلماء يتثبتون فى مصادر الرواية ، ويسألون عن الرواة الذين اشتركوا فى نقل الرواية .

يقول ابن سيرين : (ت ١١٠)

" لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم . (١)

وقد بدأ هذا البحث والتثبت فيه منذ عهد الصحابة رضى الله عنهم وازداد الاهتمام به عندما ظهرت الفتن ، لأنه دخل فى الأمة من ليس منها كالشيعة والخوارج والأعاجم وغيرهم ، روى مسلم عن مجاهد أن بشير العدوى جاء إلى ابن عباس رضي الله عنه فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فجعل ابن عباس رضي الله عنهما لا يأذن ولا ينظر إليه ، فقال ابن عباس مالى أراك لا تسمع لحديثى أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ". (٢)

وهكذا اشتدت الرواية فى عصر الصحابة وأعطوها العناية الكاملة سواء قبل الفتنة أو بعدها ، وحيث كان الإسناد قبل الفتنة خاليا من الكذب

(١) مقدمة صحيح مسلم (١ / ٨٤) باب بيان أن الإسناد من الدين .
(٢) المرجع نفسه .

والتدليس لأنه كان في عصر يتمتع المجتمع فيه بمكانة عالية من التقوى ، بل كان الجميع يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول البراء بن عازب رضى الله عنه : " ما كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه ، منه ما سمعناه منه ، ومنه ما حدثنا أصحابنا ونحن لا نكذب ".(١)

ثم توسع السؤال عن الإسناد وازداد الاهتمام به أكثر من ذى قبل ، لكثرة ظهور الفرق البعيدة عن الإسلام ، وكثرة الوضع فى الحديث والتقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا .

فمن ذلك الاهتمام أنه سئل الحسن البصرى عن إسناد مراسيله ، قال له رجل : إنك تحدثنا فتقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كنت تسند إلى من حدثك فقال له : " إنا والله ما كذبنا ولا كذبناه ولقد غزوت غزوة إلى خراسان ومعنا ثلاثمئة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ".(٢)

ويقول ابن المبارك : (ت ١٨١ هـ)

" الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، فإذا قيل من حدثك ؟ بقى ساكتا ".(٣)

ويقول سفيان الثورى : (ت ١٦١ هـ)

" الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شيء يقاتل ".(٤)

ويقول الإمام الشافعى : (ت ٢٠٤ هـ)

" مثل الذى يطلب الحديث بلا إسناد ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة الحطب فيها أفعى تلدغه ، وهو لا يدرى ".(٥)

---

(١) الكامل لابن عدى (ص ٣٨) .
(٢) الكامل لابن عدى (١ / ١٥) .
(٣) الكفاية (ص ٥٦ ، ٥٧) .
(٤) مقدمة صحيح مسلم (١ / ٨٢) .
(٥) عناية المحدثين (ص ١٥٥) .

وهكذا نرى كثيرا من أقوال المحدثين السابقين ، يؤكدون الالتزام بالإسناد ، ويطلبونه ممن لا يسند حديثه حتى حافظوا على السنة من براثن الوضع والكذب،فهذا الزهرى فيما رواه عنه عيينة بن حكيم ، أنه كان عند إسحاق ابن أبى فروة ، قال : فجعل ابن أبى فروة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الزهرى : قاتلك الله ياابن أبى فروة ماأجزأك على الله ، لا تسند حديثك،تحدثنا بأحاديث ليس لها خطام ولا أزمة ".(١)

ويؤكد الزهرى الاهتمام بالإسناد ، عندما وجه النداء لأهل الشام فقال : يا أهل الشام مالى أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ، ولا خطم،" يقول ابن أبى حاتم : " وتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ ".(٢)

وعلى كل حال فإن الإسناد أخذ الطابع العام فى بداية القرن الثانى ، حتى أن بعض من كان يحدث دون إسناد ، أصبح يلتزم بذكره، مثل قتادة ومعمر وغيرهما ، وكانوا يحدثون طلابهم بدون إسناد ، اختصارا للوقت ، وتسهيلا لهم .

وهكذا انتشر الإسناد فى هذه الفترة ، والتزم المحدثون به ويظهر أهمية الإسناد فى هذه الفترة من خلال أقوال الأئمة النقاد ، فقد قال ابن المبارك : " بيننا وبين القوم القوائم " يعنى : الإسناد .(٣)

ويقول بهز بن أسد :

" لا تأخذوا الحديث عمن لا يقول حدثنا " ومن جملة أقواله فى الإسناد : " هذه شهادة الرجال العدول المرضيين بعضهم على بعض".(٤)

---

(١) معرفة علوم الحديث (ص ٦) .
(٢) الجرح والتعديل (ص ٢٠) .
(٣) مقدمة صحيح مسلم (١ / ٨٨) بيان أن الإسناد من الدين .
(٤) الكامل (١ / ٤٧) .

كما أن المحدثين قد اهتموا بالإسناد العالي خاصة ، بعد أن اهتموا بالإسناد كله وقد ثبت عنهم مقولات حول ذلك :

يقول النووى : (ت ٦٧٦ هـ)

" طلب العلو سنة ، ولهذا استحبت الرحلة ".(١)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : (ت ٢٤١ هـ)

" طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف ، لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون ، من الكوفة إلى المدينة ، فيتعلمون من عمر ويسمعون منه".(٢)

وقيل ليحيى بن معين في مرض موته ، ما تشتهى ؟ قال :

"بيت خال وإسناد عال ".(٣)

وهكذا كان اهتمام المحدثين بالإسناد اهتماما كبيرا ، لم يوجد فى أى أمة من ذى قبل .

يقول أبو شهبة :

" إن الرواة قبل الإسلام من العرب وغيرهم ، ماكانوا يهتمون بتصحيح الأخبار والتحرى من رواتها أو البحث عن صدقها ، ومطابقتها للحق والواقع ، ولم يكن عندهم من صفة النقد والجرح والتعديل وتمحيص المرويات ، مثل ماكان للرواية بعد الإسلام ، وذلك لأن تلك الروايات لم يكن لها من القداسة والحرمة والتقدير ما للمرويات الإسلامية . . . ثم يقول : " وقد عنى العلماء المسلمون ولاسيما علماء الحديث والفقه والأصول بعلم الإسناد ونقد الرواة عناية فائقة ، إذ به يعرف التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف من المرويات ، والمقبول من المردود وذلك لما رأوا الله ورسوله يحضان على التثبت فى المرويات وأنه لا يقبل إلا خبر العدل الضابط ".(٤)

---

(١) التدريب (٢ / ١٦٠) .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) مختصر علوم الحديث (ص ١٦٠) .
(٤) الوسيط (ص ٤٤ — ٤٥) .

الفصـــــل الأول

الإسناد فى عصر النبوة والصحابة ونقد شبهات المستشرقين حول نشأة الإسنـــــاد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العناية بالإسناد فى عصر النبوة والصحابة -

المبحث الثانى : شبهات المستشرقين حول نشأة الإسناد ومناقشتها .

المبحث الثالث : موقف المستشرقين من الفتنة ودراسة شبهاتهـم فى ذلك وعلاقتها بالإسناد .

الفصل الأول

المبحث الأول

العناية بالإسناد في عصر النبوة والصحابة

المبحث الأول
العناية بالإسناد في عصر النبوة والصحابة

أولا : العناية بالإسناد في عهد النبوة :

لم يكن الصحابة – رضوان الله عليهم – يشترط أحدهم في تلقى الحديث أن يأخذه عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة ، بل يكفى أن يتلقاه أحدهم عن صحابى آخر أخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بيد أنهم في حالات قليلة كان أحدهم يستثبت من الحديث الذى يحدثه به صحابى آخر فيسأل عنه النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد أكد الله هذا الأمر في كتابه العزيز بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)(١) وفي قراءة " فتثبتوا " وهذه القاعدة تبين لنا أن أخلاق الراوى تعد عاملا مهما في إصدار الحكم على الراوى وعلى روايته،حيث إن المحدثين قد استفادوا من هذه القاعدة فائدة عظيمة في تطبيقها على رواة الأحاديث النبوية . وقد كان صلى الله عليه وسلم أول من طبق هذه القاعدة ليكون ذلك درسا للصحابة الكرام ولمن يأتى بعدهم حفاظا على هذا الدين في مصدريه الكتاب والسنة ، ومما يدل على عناية النبى صلى الله عليه وسلم بالسند عدة أمور ، سأذكرها فيما يأتى وسأضرب مثالا من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك .

أ – مظاهر عناية النبى صلى الله عليه وسلم بالسند :

ولعل أهمها ما يلى :

إن الناظر إلى الرسالة المحمدية والمتبع لها يرى أن الإسناد بدأ مع نزول الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام ومن ثم يعود صلى الله عليه وسلم إلى زوجه مخبرا إياها

(١) سورة الحجرات آية (٦) .

بعد الخبر العظيم ويرويه كما سمعه ورآه ، ثم تهدئ من روعه عندما يقص عليها خبر السماء ، ثم تذهب به إلى الحبر ورقة بن نوفل فيخبره بالخبر ويثبتانه بأنه سيكون نبي هذه الأمة ، ثم تتابعت الأخبار عن الله بواسطة جبريل ، والرسول ينقل ذلك إلى أصحابه الكرام فيسمعونه مرة يشيد القول إلى الله تعالى ومرة إلى جبريل ومرة يقول : قال الله تعالى في الحديث القدسي ، وبذلك نشأت ألفاظ الرواية في صدر الرسالة المحمدية ، كل ذلك والرسول يخبر أصحابه بكل ما أخبر به .

وبتتبع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم نرى أن الاهتمام بالرواية بدأ منذ نزول الوحي عليه حتى مهاجره إلى المدينة ، ومن ثم بدأ التوسع فيه وتعليم الصحابة أصول الرواية من الدقة والتحري والتثبت في الأخبار من قبل نبيهم عليه الصلاة والسلام ، ويدل على ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث جبريل عليه السلام وفي عجزه قوله " أتدري من السائل يا عمر ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم " .(١)

وبإعادة النظر مرة أخرى نرى أن الوحي كله روايات كان يرويها جبريل عن الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم أو روايات يرويها رسول الله عندما أسرى به إلى الملأ الأعلى وإخباره عن بعض المغيبات .

ب ـ تثبته صلى الله عليه وسلم في الرواية :

ومما يدل على هذا عدة أمثلة منها :

لقد وردت حوادث كثيرة في عصره صلى الله عليه وسلم تبين لنا اهتمامه بالرواية وتثبته فيها ، ومن هذه الحوادث قصته صلى الله عليه وسلم

---

(١) مقدمة صحيح الإمام مسلم (١٦٤/١) أشراط الساعة ، صحيح البخاري مع الفتح (١١٤/١) باب ٣٧ سؤال جبريل

مع ذى اليدين حينما سلم النبى صلى الله عليه وسلم على رأس الركعتين فى إحدى صلاتى العشاء وذلك قوله " أقصرت الصلاة أم نسيت " ؟ (١)

وحيث أنه صلى الله عليه وسلم توقف فى الأخذ بقوله ، وذلك ليسن للصحابة وللأمة من بعدهم سنة التثبت فى الدين ، حتى وافقه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما بذلك فأنفذه بعد شهادتهما، يقول السباعى : " ... وقد وافقه الباقون على ذلك وارتفع حكم الإمارة الدالة على وهم ذى اليدين وعمل بموجب خبره كيف وأن عمل النبى صلى الله عليه وسلم بخبر أبى بكر وعمر وغيرهما مع خبر ذى اليدين عمل بخبر لم ينته إلى حد التواتر ". (٢)

وهكذا وردت روايات كثيرة تدل على تثبت الرسول صلى الله عليه وسلم فى الأخبار التى ترد إليه ، الذى يدلنا دلالة واضحة على اهتمامه بالرواية وتعليمها لأصحابه ليكونوا قدوة الأمة من بعده .

جـ ـ الأمر بالرواية الصحيحة والنهى عن الرواية الضعيفة :

أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته بالتحديث عنه بالروايات الثابتة الصحيحة ، ونهى عن الاختلاف والتزوير عليه، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها ". (٣)

يقول الإمام مسلم فى ذلك : " وقد اشترط النبى صلى الله عليه وسلم على سامع حديثه ومبلغه حين دعا له أن يعيه ، ويحفظ ثم يؤديه كما سمعه، فالمؤدى لذلك بالتوهم غير المتيقن مؤد على خلاف ما شرط النبى صلى الله عليه وسلم وغير داخل فى جزيل ما يرجى من إجابة دعوته ". (٤)

---

(١) انظر صحيح البخارى مع الفتح (٣ / ٩٦) ك السهو باب ٣

(٢) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ١٧٠) .

(٣) انظر جامع بيان العلم (٢ / ١٥٠) .

(٤) انظر التمييز للإمام مسلم (ص ١٧٩) .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " .(١)

وقال أبو حاتم البستي " في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالتبليغ عنه من بعدهم مع ذكر إيجاب النار للكاذب عليه، دليل على أنه أمر بالتبليغ عنه ما قاله عليه السلام : ما كان من سننه فعلا أو سكوتا عند المشاهدة،لأنه يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم " نضر الله امرءا " المحدثون بأسرهم ، بل لا يدخل في ظاهر هذا الخطاب إلا من أدى صحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سقيمه ، وإني خائف على من روى ما سمع من الصحيح والسقيم أن يدخل في جملة الكذبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا كان عالما مما يروى ، وتمييزا لعدول من المحدثين والضعفاء والمتروكين بحكم المبين عن الله تبارك وتعالى ".(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع" .(٣)

وروى العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة - إلى أن قال -" فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي".(٤)

قال أبو حاتم البستي " في هذا الخبر الزجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم علم اليقين صحته،ثم يحدث به دون مالا يصح على حسب

---

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ك العلم ، ثم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٥ (١ / ٢٠٠) ومقدمة الإمام مسلم (١ / ٦٧) .
(٢) انظر كتاب المجروحين (١ / ٦) .
(٣) مقدمة الإمام مسلم (١ / ٧٣) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.
(٤) مقدمة ابن ماجه (١ / ٦) ومسند أحمد (٤ / ١٢٦) .

ما ذكرناه قبل " ثم يقول حول هذا الحديث " دليل صحيح على أنه صلى الله عليه وسلم أمر أمته بمعرفة الضعفاء منهم من الثقات لأنه لا يتهيأ لزوم السنة على ما خالطها من الكذب والأباطيل إلا بمعرفة الضعفاء من الثقات ، وقد علم النبى صلى الله عليه وسلم بما يكون من ذلك فى أمته إذ قال " من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " (١) .

كما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم النهي من رواية الكذابين والضعفاء والمجروحين والمجهولين،والتحرى فى الرواية،ففى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم " (٢) .

وكثير من الروايات الحاضة على التحدث والرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم بما ثبت عنه بعد الدقة والتثبت والتحرى فى ذلك ، والبعد عن التقول عليه بما لم يقل لأنه سبب لإيجاب النار لمن وقع فى هذا .

د . ـ روايته صلى الله عليه وسلم عن بعض أصحابه وإسناد ذلك إليهم :

وردت روايات عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قليلة ـ رواها عن أصحابه وهى تدل دلالة واضحة وأكيدة أن الإسناد بدأ فى عهده وأعطى مكانة عالية لأن به يعرف مصدر الخبر وصحته من ضعفه،ومن تلك الروايات مارواه الإمام مسلم فى صحيحه عن تميم الدارى حديث الجساسة وهو حديث طويل " قال صلى الله عليه وسلم:حدثنى ـ أى تميم ـ حديثا وافق الذى أحدثكم عن المسيح الدجال " وفى آخره " أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة " (٣) .

---

(١) انظر المجروحين (١ / ١٠) .
(٢) انظر مقدمة صحيح مسلم ، باب النهى عن الرواية عن الضعفاء (١ / ٧٨ ـ ٧٩) .
(٣) صحيح مسلم (١٨ / ٨١) قصة الجساسة .

هـ ـ إقراره على طلب الإسناد العالي :

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض رسله إلى بعض البوادى والقبائل ليبلغوا عنه ويدعو الناس إلى دين الله تعالى ، وقد كان بعض الناس يقبلون ذلك منهم ، وبعضهم ربما يريد أن يتثبت فى الأمر وربما يريد أخذ الخبر من صاحب الشريعة نفسه فيرحل إليه فيسأله عن حقيقة هذا الدين وحديث ضمام بن ثعلبه مما يدل على هذا، فقد روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : " بينما نحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم أيكم محمد؟ والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل : ابن عبدالمطلب ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قد أجبتك ... فقال: سل عما بدا لك ... الخ ".(١)

وفى هذه الرواية دليل على وجوب التثبت فى عهده صلى الله عليه وسلم،وقد أقر الصحابة على هذا الأمر بناء على أمر الله فى كتابه الكريم (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا).(٢)

وبالنظر إلى ما سبق يتضح لنا بجلاء أن الإسناد بدأ من عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقد طبقه صلى الله عليه وسلم فى كثير من الأخبار ، وذلك تعليما للأمة على أخذ الروايات من أصحابها بعد التحرى والتثبت فى كل أمر من أمور الدين،وقد وصلت إلينا الأحاديث كما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تمحيص الرواة واختبارهم وذلك استنادا لقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).(٣)

---

(١) انظر صحيح البخارى مع الفتح ك العلم باب ماجاء فى الرحلة ٦ (١٤٩/١).

(٢) سورة الحجرات آية (٦).

(٣) سورة الحجر آية (٩).

ثانيا : الإسناد في عصر الصحابة :

لقد عنى الصحابة بما جاء عن نبيهم عناية عظيمة لم يسبقهم في ذلك أمة من الأمم ولم يرو التاريخ أن أمة نقلت سنة نبيها كما نقله الصحابة ، ولا غرابة في ذلك فقد اختار الله تعالى الصحابة الكرام للنبي صلى الله عليه وسلم اختيارا يليق بحمل هذه الأمانة فحملوها وأدوها كاملة غير منقوصة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على حفظ سنة نبيهم ، ولقد بلغ من حرصهم على ذلك أن كان بعضهم يتناوبون مجلسه صلى الله عليه وسلم يوما بعد يوم،فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحدثنا عنه البخاري بسنده المتصل يقول: " كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية ابن يزيد من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما،فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك ... "(١)

ولقد كانوا رضى الله عنهم يحرصون أشد الحرص على نقل ما يهم الأمة وما يسعدها،فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا رووها عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخلها النقص ولا الزيادة ، فكانوا قدوة للتابعين ولمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة حتى لا يدخل في السنة ما ليس منها ، وبذلك وصلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالشمس في رابعة النهار ، وهكذا نشطت الرواية في عصر الصحابة وطوروها أوسع من ذي قبل .

---

(١) انظر صحيح البخاري (فتح الباري) ك العلم باب التناوب في العلم ٢٧ (١٨٧/١).

أ ـ تثبت الصحابة رضى الله عنهم :

لو درسنا سيرة الصحابة وبالأخص الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، لرأينا أنهم قد اهتموا بالرواية اهتماما كبيرا محافظة منهم على السنة حتى لا يدخل فيها ماليس منها ، فقد ثبت عن أبى بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم التثبت والتحرى عما يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق أحد الصحابة، فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدقق ويتحرى فى رواية وردت عليه، روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن تورث فقال: " ما أجد لك فى كتاب الله شيئا " ثم يسأل الناس فقام إليه المغيرة بن شعبة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس ، فقال له الصديق : هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر . (١)

ومن هنا ظهرت شخصية أبى بكر الصديق صاحب رسول الله وخليفته ليوضح ويؤكد منهج النقد السليم حول السنة النبوية . (٢)

ويقول الحاكم عن أبى بكر الصديق: "إنه أول من وقى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "، ثم يقول: " وهو أول من احتاط فى قبول الأخبار"، ويقول : " وإليه المنتهى فى التحرى فى القول والقبول " . (٣)

وكما ثبت عن عمر بن الخطاب اتباع هذا المنهج وتشدده فيه فقد ردّ خبر أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنهما ـ بقوله: " لئن لم تأتنى بمن يعلم هذا لأفعلن بك كذا وكذا ". (٤)

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ (١ / ٤) .
(٢) انظر المدخل للحاكم (ص ٤٦) .
(٣) المرجع نفسه (٤٦) .
(٤) صحيح البخارى مع الفتح ك الاستئذان باب التسليم باب ١٣ (١١ / ٢٦) .

ثم يقول له بعد أن يأتيه بالشاهد: "أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١).

ومن مظاهر التثبت والتشدد فيه أن علي بن أبي طالب قد استحلف بعض الرواة في الرواية (٢).

وهكذا ثبت عن جمع من الصحابة التشدد في التثبت والدقة في الرواية، ومع ذلك لم يثبت أن أحدا من الصحابة رمى أخاه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما كانوا يخشون أن يخطئوا في نقل الحديث فلا يؤدونه على وجهه.

وأخرج ابن ماجه في سننه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قلنا لزيد بن أرقم حدِّثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله شديد "(٣).

وقد روى عن كثير من الصحابة تشددهم في الرواية وتحاشي التحديث كسعد بن مالك وابن عمر وأنس بن مالك والزبير وغيرهم خوفا منهم الوقوع في الوعيد الذي أخبر به الصادق المصدوق "(٤).

ومن هنا نشأ التشديد على من يروي الأحاديث التي لم يسمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: "ما كل حديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين في رعاية الإبل وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله فيسمعونه من أقرانهم ومن هو أحفظ منهم وكانوا يشددون على من يسمعون منه "(٥).

---

(١) موطأ الإمام مالك (ص ٦٨٥).

(٢) ابن ماجه إقامه ١٥/٣

(٣) مقدمة ابن ماجه (١١/١) باب ٣

(٤) انظر الكامل لابن عدي (ص ٣٩) و تأويل مختلف الحديث (ص ٤٠)

(٥) انظر معرفة علوم الحديث (ص ١٤).

وما حديث عمر بن الخطاب إلا دليل واضح على التشديد في الرواية عندما شيع بعض الصحابة إلى خارج المدينة طالبا منهم تقليل الرواية خوفا منه التقول على رسول الله بما لم يقل . (١)

ب — موقفهم من الإكثار في الرواية :

ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : " إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة من الرواية، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم تلى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا ...) إلى قوله (غفور رحيم)، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون" (٢)

أما ابن عباس فكان يطلب الحديث عند كبار الصحابة ويتحمل في سبيل ذلك عناء ومشقة ، أخرج ابن عبد البر عن ابن شهاب أن ابن عباس قال : " كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو أشاء أن أرسل إليه حتى يجيئني فيحدثني فعلت ، ولكني كنت أذهب إليه فأقيل على بابه حتى يخرج إلي فيحدثني ". (٣)

وهكذا كان ابن عباس يطلب الحديث من عند أقرانه الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم قبله واستوعب ما عندهم فأخذ يحدث به قومه فكان يُعدّ من الصحابة الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة .

كما يظهر منهج ابن عباس رضي الله عنهما من الرواية ما ذكرناه سابقا حيث كان يتشدد فيها بعد الفتنة كما فعل مع بشير العدوي ومع ابن أبي مليكة

---

(١) ابن ماجه (١٢/١) .
(٢) انظر صحيح البخاري مع الفتح (١/ ٤٠ — ٤١) ك العلم .
(٣) جامع بيان العلم (١١٢/١)

إضافة إلى هذا فإن أبا بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما كانا ينهجان منهجا التثبت فى الرواية .

جـ ــ رواية الصحابة عن بعضهم :

لقد ثبت عن بعض الصحابة أنهم لم يسمعوا بعض الأحاديث عن نبيهم ولكنهم لم يتركوا الأمر بدون أخذه، بل سمعوه من أقرانهم ، يقول البراء بن عازب رضى الله عنه : " ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب ".(١)

ويقول أنس رضى الله عنه : " ولكن كان يحدث بعضهم بعضا"(٢)

وبالنظر إلى أقوال الصحابة تجاه بعضهم فقد ثبت أنهم رووا أحاديث عن بعضهم البعض ، فقد روى مسلم بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء فيقول له عمر : أعطه يارسول الله أفقر إليه منى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :"خذه فتموله أو تصدق به وماجاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك ".(٣)

وقد روى هذا الحديث أربعة من الصحابة كل منهم يروى عن الآخر وهم السائب بن يزيد عن حويطب بن عبد العزى عن عبد الله السعدى عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم .

وهكذا رأينا أن كل واحد من هؤلاء الصحابة لم يكتف بذكر من سمعه منه ولم يرفعه من بعد عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما بيّن كل منهم كيف وصل إليه الحديث ".(٤)

---

(١) انظر المحدث الفاصل (ص ٢٣) .
(٢) الكفاية (ص ٣٨٦) .
(٣) انظر صحيح البخارى مع الفتح ك الأحكام باب رزق الحاكم العاملين (١٣/١٤٩ ــ ١٥٠) .
(٤) انظر توثيق السنة (ص ٣٧) والوسيط لابن شهبه (ص ٦٩٦) .

د ـ رواية الصحابة عن التابعين :

لقد روى بعض الصحابة بعض الأحاديث التي لم يسمعوها من أصحابهم عن بعض كبار التابعين الذين سمعوها من الصحابة، وهذا يدل دلالة واضحة أن الصحابة الكرام اهتموا بالرواية اهتماما بالغا ، ومن ذلك ما رواه سهل بن سعد الساعدي عن مروان بن الحكم عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم أملى عليه " لا يستوى القاعدون من المؤمنين ... " الآية فجاء ابن أم مكتوم فقال: "يارسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت " وكان أعمى فأنزل الله (غير أولي الضرر) (١)

وكثير من هذه الروايات وردت عن بعض الصحابة يستدلون الرواية عمن أخذ وحدا منه محافظة على السنة وإسناد القول إلى قائله .

هـ ـ الرحلة في طلب الإسناد العالي :

لقد اهتم الصحابة الكرام بالرواية منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ازداد الاهتمام بها أكثر خوفا عليها من أن يدخل فيها ماليس منها . وقد كانت الرحلة عندهم عاملا مهمًّا في البحث عن الرواية والتثبت عمن سمعها ، وبعد أن انتشر الصحابة في البلاد الإسلامية وبعدت المسافة بينهم وبين إخوانهم في المدينة وبدأ التشدد في الرواية، كان بعض الأصحاب لا يكتفي بسماع تلك الرواية حتى يسمعها ممن سمعها من الرسول ولو رحل إلى الأمصار النائية كالشام ومصر وغيرهما . وذلك طلبا للإسناد العالي ثم التحري منه والدقة في التثبت في هذا، وكان بعض الصحابة من رحل في طلب الحديث كأبي أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وغيرهما . (٢)

---

(١) انظر تدريب الراوي (٢ / ٣٨٦ـ٣٨٩) .

(٢) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١/ ١٧٤) ك العلم باب الخروج في طلب العلم والرحلة في طلب الحديث (ص ٥٣) .

فمن هذا كله نرى الصحابة الكرام نهجوا هذا المنهج ليكون قدوة لمن يأتي بعدهم من التابعين وغيرهم حتى قيام الساعة وحفظوا بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصلت إلينا بيضاء نقية لا غموض فيها ولا لبس .

يقول محمد عجاج الخطيب :" تلك آثار تبني منهج الصحابة في التثبت والتأكد من الأخبار وهذا لا يعني أبدا أن الصحابة اشترطوا بقبول الحديث أن يرويه راويان فأكثر أو أن يشهد الناس على الراوي أو أن يستحلف.فإذا لم يحصل شيء من هذا،بل كان الصحابة يثبتون في قبول الأخبار ويتبعون الطريقة التي ترتاح إليها ضمائرهم ، فأحيانا يطلب عمر رضي الله عنه سماع آخر،وأحيانا يقبل الخبر من غير ذلك،ولا يقصد من وراء عمله إلا حمل المسلمين على جادة التثبت العلمي والتحفظ في دين الله وحتى لا يتقول أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل،ويتضح هذا في قول عمر رضي الله عنه عن ما أرجع أبو موسى مع أبي سعيد رضي الله عنهما وشهد له ، قال عمر : " أما إني لم أتهمك"(١)

ومن خلال ذلك نصل إلى أن الإسناد كان موجودا منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام،ومن ثم نقلوا ذلك إلى الأجيال الخالفة لهم خالصا من الشوائب،وبذلك حفظوا لنا دين الإسلام .

---

(١) انظر السنة قبل التدوين (ص ٦٨) .

الفصل الأول

المبحث الثانى

شبهات المستشرقين حول نشأة الإسناد ومناقشتها

المبحث الثاني
شبهات المستشرقين حول نشأة الإسناد ومناقشتها

١ — يقول كاتياني[١] :

" نستطيع أن نقول بعد مضي ستين سنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ما بين (٧٠ — ٨٠) في عهد عبد الملك كان المحدثون لا يرون أنفسهم ملزمين بذكر مصادرهم ومعلوماتهم أي أنه بعد مضي جيلين من وفاة النبي لم يكن هناك ثمة إسناد"[٢] .

٢ — يقول روبسون[٣] :

" إننا نعلم أن ابن إسحاق في النصف الأول من القرن الثاني أعطى أكثر معلوماته بدون إسناد وأكثر ما بقي منه بدون إسناد كامل وأسلافه كانوا أقل اهتماما بالأسانيد منه لكنه لا يصح أن نقول

---

(١) كاتياني (Caetani. L.) (١٨٦٩ — ١٩٢٦)
مستشرق إيطالي ، ولد في روما وتخرج في جامعتها ، وتعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية .
من آثاره : " نمو الشخصية الإسلامية " و " تطور الحضارة وتاريخ الإسلام " من العام الأول إلى عام ٩٢٢
و " حوليات الإسلام " .
انظر : المستشرقون (١/٤٢٩ — ٤٣٠) .

(٢) حوليات الإسلام (١/٨٠)

(٣) روبسون جيمس (Robson, J.) (ولد سنة ١٨٨٠)
تخرج باللغات الشرقية في جامعة جلاسجو ، حصل على الماجستير مع مرتبة الشرف من جامعة مانتشستر وعلى الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة القديس أندروز .
===

إن الإسناد راجع إلى عهد الزهرى ولم يكن معلوما فى عصر عروة، بينما نظام الأسانيد البالغ إلى كامل نشوته أخذ وقتا طويلا ونما نموا بطيئا يمكن أن يصل إلى أن بعض الأسانيد راجع إلى القدم كما يدعيه الناس ". (١)

٣ — يقول كاتياني :

" إن المعلومات المتعلقة بابتداء مثل شباب النبى صلى الله عليه وسلم وابتداء الرسالة لا تروى من قبل شهود العيان وإنما تروى من قبل الأصحاب الذين لم يروا النبى صلى الله عليه وسلم فى أواخر سنواته وروايات الذين يدعى أنهم كانوا شهود العين لا تصعد إلى السنة الأولى ". (٢)

٤ — ويقول : " إذا تتبعنا الأسانيد وجعلنا إحصائيات تستخلص منها أن الأصحاب الذين صحبوا النبى صلى الله عليه وسلم قليلا هم الذين رووا عنه كثيرا ". (٣)

٥ — ويقول روبسون :

فى منتصف القرن الأول يمكن للمرء أن يتوقع شيئا يشبه الإسناد إذ كان قد مات عدد من الصحابة فى ذلك الوقت والذين لم يروا النبى صلى الله عليه وسلم بدأوا يقصون عنه، ومن الطبيعى أن يسألهم أحد

= = = عين مساعد أستاذ اللغة العبرية فى جامعة جلاسجو (١٩١٥-١٩١٦) واختير معيد الإنجليزية فى لاهور (١٩١٨—١٩١٩) وأستاذ للعربية فى جامعة مانتشستر .
من آثاره : "عيون شبه الجزيرة العربيه" و" المسيح فى الإسلام" و" الإسناد فى الحديث عند المسلمين " .
انظر: المستشرقون (٢/١٢٤ — ١٢٥) .

(١) Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.26
(٢) حوليات الإسلام (١/٨٥)
(٣) المرجع السابق (١/٩٥)

عن مصادرهم أو معلوماتهم مالم تكن مباشرة حيث لم يروا النـــبى صلى الله عليه وسلم .(١)

٦ — ويقول كايتاني :

" إن أول من استعمل الإسناد هو ابن إسحاق وإن لم يكن على صورته الكاملة التى اتخذه بها المحدثون بعد ذلك ".(٢)

خلاصة شبهات المستشرقين حول نشأة الإسناد :

بعد أن نظرت إلى شبهات المستشرقين حول نشأة الإسناد رأيت أن أقوالهم قد اختلفت فى ذلك، وقد قاموا بدراسة السنة النبوية ليستشفوا أمورا تجعلهم يصلون إلى أمر لعل فى ظنهم أنه خفى على المسلمين البحث فيه والدراسة حوله، فكانت دراستهم منصبة على الحديث النبوى سندا ومتنا، فتعرضوا له وأعملوا فيه اجتهاداتهم واستنبطوا من تلك الدراسة أن المسلمين الأوائل لم يسلكوا منهج النقد المترتب على السند والمتن، بل ردوا ذلك إلى القرون المتأخرة، ومن ذلك رأيت شبهاتهم حول إسناد الحديث مختلفة بل وساقطة، فبالنظر إلى هذه الشبهات يمكن إجمالها فى النقاط التالية :

١ — أن الإسناد بدأ فى النصف الأول من القرن الأول .(٣)

٢ — أن الإسناد بدأ فى الثلث الثالث من القرن الأول .(٤)

٣ — أن الإسناد بدأ فى القرن الثانى أو الثالث .(٥)

---

(١) Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.21

(٢) حوليات الإسلام لكايتاني (١ / ٧٥) باللغة التركية ترجمة د / أحمد سعاد .

(٣) حوليات الإسلام لكيتاني (١ / ٩٥ — ١٠٠)
Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.21.

(٤) المرجع السابق .

(٥) حوليات الإسلام (١ / ٧٥)
Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.26.

مناقشة شبهات المستشرقين :

الشبهة الأولى : (وهى : أن الإسناد بدأ فى النصف الأول من القرن الأول)

هذا الزعم يرده التاريخ الصحيح لنشأة الإسناد،وذلك أن الإسناد لم تكن بدايته فى هذه الفترة التى حددها بعض المستشرقين وإنما كان بدايته مع بداية الرواية .

وبالرجوع إلى المبحث السابق،نرى فيه اهتمام الصحابة بالإسناد وأنه لم يبدأ فى هذه الفترة كما ادعاه هؤلاء المستشرقون،وإنما بدأ استعماله فى العصر النبوى وعصر كبار الصحابة،فهذه بعض الآثار الواردة عنهم تدلنا على أن الإسناد لم يكن استعماله متأخرا وإنما طبق منذ نزول الوحى، ومن هذه الآثار الثابتة عن منهج الصحابة حول ذلك نقول :

إن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب قد نهجا منهجا عظيما لمعرفة الإسناد والتثبت والتدقيق منه،ومن ذلك " أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تسأله ميراثها ، فقال : مالك فى كتاب الله شيء وما علمت لك فى سنة نبى الله شيئا،فارجعى حتى أسأل الناس،فقال المغيرة بن شعبة:حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس . فقال أبو بكر:هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه أبو بكر". (١)

كما روى عن عمر كذلك حول حديث الاستئذان الذى رواه أبوموسى الأشعرى . (٢)

وروى عن عبدالله بن الزبير أنه قال لأبيه : " إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان

---

(١) انظر سنن أبى داود (٣/٣١٧)وسنن الترمذى (٤/٤٢٠) .

(٢) انظر صحيح البخارى مع الفتح ك الاستئذان باب التسليم (٢٦/١١)

فقال : أما إنى لم أفارقه ولكن سمعته يقول : " من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " .(١)

ويروى ابن ماجه فى سننه

" أن زيد بن أرقم كان يقال له حدِّثنا فيقول: " كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله شديد ".(٢)

وكان أنس بن مالك يتبع الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : " أو كما قال، حذرا من الوقوع فى الكذب عليه "(٣)

فهذا المنهج الأساسى الذى اعتمد عليه الصحابة فى الرواية والتثبت فيها والعناية بها حتى يكون قدوة لمن يأت بعدهم ويسلك سبيلهم .

ولو نظرنا إلى هذه الآثار التى ذكرتها لرأينا أن الصحابة قد بينوا ألفاظ الرواية، فبعضهم يقول : سمعت ، وبعضهم يقول : حدثنى والبعض الآخر يقول : قال رسول الله . وكلها ألفاظ تدل على الوجوب، وهى كذلك دالة على نشأة الإسناد فى عصر النبوة وعصرهم ، ولذلك يقول الدكتور محمد الأعظمى " إن الإسناد كان موجودا قبل وقوع الفتنة إلا أن الناس ما كانوا يحتاجون إليه كثيرا، وما كانوا يدفعون فى الموضوع وكان الأمر متروكا للراوى نفسه إذا أحب أن يسند أسنده، وإذا أحب أن يحذف الإسناد حذف، فلما وقعت الفتنة تنبه الناس إلى أهمية الإسناد لئلا يقوم أحد بوضع الأحاديث على لسان النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمور السياسية ".(٤)

---

(١) انظر المرجع السابق ك العلم باب اثم من كذب على النبى (٢٠٠/١)

(٢) انظر ابن ماجه ، باب التوقى فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ٢٥ (١/ ١١) .

(٣) انظر المرجع السابق (ص ١١) .

(٤) انظر دراسات فى الحديث النبوى لمحمد الأعظمى (ص ٣٩٧) .

فهذه الآثار الثابتة عن بعض الصحابة وغيرهم كعمران بن حصين والبراء بن عازب وعبد الله بن مسعود والذين طبقوا الإسناد في عصر كبارهم وصغارهم رأيت أن زعم المستشرقين حول تأخر الإسناد خاطئ ، لأن الإسناد نشأ منذ عصر النبوة والصحابة استنادا للأدلة السابقة التي وردت عن الصحابة الكرام .

الشبهة الثانية : (القول بأن الإسناد نشأ في الثلث الثالث من القرن الأول)

والجواب عن الشبهة الأولى جواب عن هذه الشبهة ، ونضيف إلى ذلك أن المستشرقين يتجاهلون عناية الصحابة وكبار التابعين حول الإسناد ، وربما استندوا في هذا الزعم على الخلافات السياسية التي حدثت في أواخر القرن الأول بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان ، ولكن مع هذا فإن الصحابة قد وقفوا تجاه الاهتمام بالإسناد منذ عصر الفتنة وما بعدها ، ولا يقبلون الإسناد إلا بتسمية من روى ذلك ، وبالرجوع إلى عصر صغار الصحابة وكبار التابعين نرى أنهم حافظوا على الإسناد محافظة كبيرة وذلك خوفا من الوقوع في النار كما أخبر بذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم ، ويدل على تلك المحافظة ما رواه مسلم في مقدمته أن بشير العدوي جاء إلى ابن عباس رضي الله عنهما فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، فجعل ابن عباس رضي الله عنهما لا يأذن بحديثه ولا ينظر إليه فقال : يا ابن عباس مالي أراك لا تسمع لحديثي ؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف .(١)

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (١ / ٨٠-٨١) باب النهي عن الرواية عن الضعفاء .

فهذا الأثر يدل على أن الصحابة لم يكونوا بعيدين عن استعمال الأسانيد، بل كانوا يدققون ويتثبتون فيه ، فموقف ابن عباس يبين لنا أن الاهتمام بالإسناد بدأ في أواخر عصر الصحابة حيث أنهم كانوا يقبلون الإسناد دون تردد ، لأن الناس في الفترة السابقة أي قبل الفتنة على جانب كبير من الصدق والأمانة والبعد عن الكذب ـ أما بعد الفتنة فقد دخل في الإسلام تستترا قوم يريدون الطعن في الإسلام والنيل منه حتى كان صغار الصحابة وكبار التابعين ـ لهم بالمرصاد .

كما يدل على استعمال الصحابة الإسناد ما أخبر به البراء بن عازب رضي الله عنه " ما كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه، منه ماسمعناه منه ومنه ماحدثنا به أصحابنا ونحن لا نكذب ".(١)

فهذه الآثار تدل على أن الصحابة وقفوا على حذر في شأن الحديث، كما أنهم تثبتوا في أمر الحديث وسنده حيث وزنوا الراوي والمروي بميزان النقد العلمي الصحيح .

كما أن هذه الفترة التي ادعى المستشرقون نشأة الإسناد فيها كان فترة تشدد الصحابة في الأسانيد، ويظهر هذا في الأثر الذي ذكره ابن سيرين " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم ".(٢)

فأرجع ابن سيرين الإسناد إلى عصر الصحابة بالضمير الغائب، فلو استعمل ضمير المتكلم لكان دالا على وجود الإسناد في زمنه لأنه عاش في هذه الفترة التي ذكرها المستشرقون .

---

(١) انظر الكامل لابن عدي (١ / ٥٥) .

(٢) مقدمة الإمام مسلم (١ / ٨٤) باب بيان أن الإسناد من الدين .

كما أن ابن أبى مليكة قد كتب إلى ابن عباس فيقول " كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لى كتابا ويخفى عنى فقال: ولد ناصح ، أنا أختار له الأمور اختيارا وأخفى عنه، قال فدعا بقضاء علي فجعل يكتب منه أشياء ويمر بالشىء فيقول : والله ما قضى بهذا على إلا أن يكون قد ضل" (١)

فهذان الأثران دليلان على أن الصحابة كانوا في هذه الفترة يقاومون بعض الفرق كالشيعة والخوارج، ولم تكن هذه الفترة بداية نشأة الإسناد بل كان بداية التشدد فيه أكثر من ذى قبل ، فالمستشرقون يصدرون مزاعمهم بناء على الأحكام العقلية المبينة فى أذهانهم بغض النظر عن جهود الصحابة ومقاومة صغارهم لبعض الفرق المنحرفة ، وبالرجوع إلى الآثار السابقة نرى أن الإسناد بدأ فى عصر النبوة والصحابة، والذى ظهر لنا ذلك من خلال تشددهم وتثبتهم ودقتهم فى الرواية حتى سلموها إلى تلامذتهم من كبار التابعين منتهجين فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم " بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ". (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم " ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه " . (٣)

يقول أبو شهبة حول تثبت الصحابة فى الرواية: " ولم تكن مراجعة بعض الخلفاء وغيرهم لبعض الصحابة وطلبهم راويا أو استحلافهم عند الرواية طعنا فى عدالتهم ولا تكذيبا لهم كما هدف به بعض أعداء الإسلام الحاقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ذلك كان على سبيل التحوط

---

(١) المرجع السابق (١ /٨٢ ، ٨٣) باب النهى عن الرواية عن الضعفاء
(٢) رواه البخارى (٦ /٤٥٦) ك الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل
(٣) المرجع السابق (٨ /٨٣) ك العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ٣٧ (١ /١٩٧) .

للرواية والتثبت من المرويات ولتكن سنة متبعة لمن يأتى بعدهم،وليس أدل على هذا من قول الفاروق — وهو من هو فى الجهر بالحق وعدم المداهنة لسيدنا أبى موسى الأشعرى " إن كنت لأمينا على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى أردت أن أستثبت " فكيف يتقول متقول بعد هذا (١)!

الشبهة الثالثة : (وهو أن الإسناد بدأ فى القرن الثانى أو الثالث)

هذا الزعم أيضا خطأ بناء على ماذكرته من بعض الآثار السابقة فى الشبهتين السابقتين ، لأن هذه الفترة لم يكن نشأة الإسناد فيها وإنما فترة تفشي الوضع فى أنحاء الأقطار الإسلامية،والتى فيها قاوم التابعون الوضع والوضاعين وبينوا زيفهم وطلبوا الإسناد من الصحابة أنفسهم دون الأخذ عن الكذابين كما أنهم سألوا عن الإسناد وتتبعوه حتى بلوغه النبى صلى الله عليه وسلم كما ثبت فى الحديث الذى ذكره ابن المبارك "(٢).

لقد كان رائد هذه الدعوى البروفيسور شاخت استنباطا منه عند دراسته للمذاهب الفقهيه فأرجع نشأة الإسناد إلى هذه الفترة .

فشاخت أخطأ فى زعمه هذا حول نشأة الإسناد وقد رد عليه الدكتور محمد الأعظمى فنكتفى بالإحالة عليه "(٣).

أما كاتيانى ، فهو يعتمد فى قوله على بعض أصحاب السيروهذا خطأ أيضا،لأن الإسناد كما عبر عنه نسب الحديث فلا يقبل أصحاب الحديث الأخذ من الكتب غير المتخصصة فى الحديث .

---

(١) الوسيط (ص ٦٣) .

(٢) مقدمة الإمام مسلم (١ / ٨٨—٨٩) كشف معايب الرواة .

(٣) دراسات فى الحديث النبوى للدكتور محمد الأعظمى (ص ٣٩٧) وما بعدها ، وقد أصدر الأعظمى كتابا مستقلا فى الرد على شاخت فى إنكاره للسنة .

إضافة إلى أن الوضع قد انتشر فى هذه الفترة،حيث ظهرت الفرق السياسية وغيرها وأخذ العلماء يهتمون به ويثبتون فيه حتى يصلوا بذلك إلى منتهاه،وهذا هو المنهج الذى سلكه المحدثون فى العصور الثلاثة الأولى .

ولهذا يقول أبو حاتم:" وفرسان هذا العلم حفظوا على المسلمين الدين وهدوهم إلى الصراط المستقيم الذين آثروا قطع المفاوز والفقار على التنعم فى الديار والأوطان فى طلب السنن فى الأمصار وجمعها بالوصل والأسفار والدوران فى جميع الأقطار حتى أن أحدهم ليرحل فى الحديث الواحد الفراسخ البعيدة فى الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل ضال فى السنن شيئا يضل به وإذا فعل فهم الذابون عن رسول الله صلى الله عليهوسلم ذلك الكذب والقائمون بنصرة الدين ".(١)

ويقول نور الدين عتر:" من هذا تقر للناظر حقيقة لها أهميتها وهي أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ترجع إليهم الفضل فى بدء علم الرواية للحديث ذلك،لأن الحديث النبوى فى حياة المصطفى كان علما يسمع ويتلقف سنة صلى الله عليه وسلم ، فلما لحق بالرفيق الأعلى حدث عنه الصحابة بما وعته صدورهم الحافظة ورووه للناس بعناية الحرص والعناية فصار الحديث علما يروى وينقل ووجد بذلك علم الحديث رواية .(٢)

وبهذا كله يبين لنا أن الإسناد قد نشأ فى عصر النبوةوالصحابة بناء على الآثار الواردة عنهم وعن أتباعهم .

---

(١) المجروحين (١/ ٢٧) .

(٢) منهج النقد فى علوم الحديث (ص ٢٥ — ٢٦) .

الفصل الأول

المبحث الثالث

موقف المستشرقين من الفتنة ودراسة شبهاتهم في ذلك وعلاقتها بالإسناد

المبحث الثالث

موقف المستشرقين من الفتنة ودراسة شبهاتهم فى ذلك وعلاقتها بالإسناد

الفتنة وعلاقتها بالإسناد :

استمر عصر النبوة والجزء الأعظم من عصر الصحابة صافيا لم يتعلق بهما أدنى شائبة مما يؤثر على الإسناد فى الحديث الشريف حتى العقد الرابع ، وقد كان الصحابة يروون الحديث لبعضهم البعض ويؤدونه كما سمعوه ويعارض بعضهم لما يرى من مخالفة الحديث اجتهادا ، مثل تنفيذ جيش أسامة والمسلمون بحاجة إليه ، ومحاربة المرتدين .

يقول السباعى : " مثل هذه الأخبار ومئات أمثالها قد استفاضت بها كتب التاريخ وهى تدل دلالة قاطعة على أن الصحابة كانوا من الجرأة فى الحق والتفانى عما يعتقدون أنه حق ، ومن تغليبهم الحق على كل صديق وصاحب وقريب بحيث يستحيل عليهم أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعا للهوى ، أو رغبة فى دنيا ، إذ لا يكذب إلا الجبان ، كما يستحيل أن يسكتوا عمن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين لا يسكتون عن اجتهاد خاطئ يذهب إليه بعضهم بعد فكر وإمعان ونظر " (١) .

وهكذا استمرت هذه الفترة خالية من طائلة الجعل والتفرقة والتخرب حتى عام (٣٥ هـ) ، العام الذى اضطرب فيه أمر الأمة ودخل فى الإسلام من لا يمت إليه بصلة من يهود وأعاجم بغية الدس والتفرقة فى كيان الأمة الإسلامية ، وانتهى الأمر باستشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ٣٦) .

فهذه أول فتنة وقعت فى صدر القرن الأول والتى كان لها أبلغ الأثر عند المسلمين قاطبة وخاصة كبار الصحابة وصغارهم حيث وقفوا لها بالمرصاد حتى لا تدخل هؤلاء فى الإسلام بعضا من التشكيكات والتحريفات الذى هى الهدف الأول لهم،لكى يصلوا إلى تفرقة أمر الأمة والنيل منها .

لذا فإننى سأنطلق فى هذا المبحث إلى تعريف الفتنة وبيان علاقتها بالإسناد . ومن ثم أناقش شبهات المستشرقين حول الفتنة والتى أطلقها ابن سيرين فى مقولته حول الإسناد: فلما وقعت الفتنة

أما تعريف الفتنة فى اللغة : فتأتى بمعنى التحول والامتحان والاختبار،ثم استعملت فى كل أمر يكشفه الامتحان،ويطلق على الكفر والغلو فى التأويل البعيد،وعلى الفضيحة والبلية والعذاب والقتال والتحول من الحسن إلى القبيح والميل إلى الشىء بالإعجاب وتكون فى الخير والشر.

وإنما قد تكون مما ينشأ عن الاختلاف فى طلب الملك حيث لا نعلم المحق من المبطل .(١)

وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى أنه سيكون فتن بعد وفاته،ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " ستكون فتن القاعد منها خير من القائم"(٢).

وقوله عليه الصلاة والسلام : " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين " .(٣)

ويقول حذيفة بن اليمان ــ رضى الله عنه ــ :" إن الفتنة قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال ".(٤)

---

(١) انظر فتح البارى ك مواقيت الصلاة .
(٢) صحيح البخارى فتح البارى (١٣ / ٢٩) باب الفتن .
(٣) الترمذى (٢/ ٤٤) رقم الحديث ٢٦٧٦
(٤) انظر تاريخ أصفهان لابى نعيم (١/ ١٣٦) .

ويروى أبو نعيم بسنده عن نافع عن ابن عمر أنه قال : " لم يقص في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبى بكر وعمر ، وإنما كان القصص زمن الفتنة ".(١)

فالواقع أن الفتنة لم تكن في عهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وإنما ظهرت في عصر عثمان رضى الله عنه والتى بدأت في تلك الفترة المؤمرات عليه وعلى عامة المسلمين من قبل الدخلاء على الدين الإسلامى التى انتهت بمقتل عثمان .(٢)

كما ورد أثر يدلنا أن الفتنة المقصود بها هي فتنة عثمان رضى الله عنه،وهو ما رواه البخارى عن سعيد بن المسيب أنه قال : " وقعت الفتنة الأولى — وهى مقتل عثمان — فلم تبق من أصحاب بدر أحدا ، ثم وقعت الفتنة الثانية — يعنى الحرة — فلم تبق من أصحاب الحديبية أحدا ، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ ".(٣)

ويذكر ابن حجر " أن سعد بن أبى وقاص كان آخر بدرى مات ومات قبل موقعة الحرة ببضع سنين ، فيعنى ذلك أن الفتنة الأولى المراد منها ما يستغرق ما بين الفتنتين ".(٤)

ثم يفسر لنا ابن سيرين الفتنة فيروى عنه أنه قال : " هاجت الفتنة، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فما خف لها منهم مئة ".(٥)

---

(١) تاريخ خليفة (ص ١٦٢) .

(٢) انظر بحوث في تاريخ السنة (ص ٤٩) وما بعدها ، دراسات في الحديث النبوى (ص ٣٩٥) ودراسات في الجرح والتعديل (ص ٦) والوضع في المحدث (ص ١٠) .

(٣) صحيح البخارى فتح البارى (٧ / ٣٢٣) ك المغازى باب شهود الملائكة بدرا .

(٤) انظر فتح البارى (٧ / ٣٢٥) .

(٥) المنتقى في منهاج الاعتدال (ص ٣٨٩) .

فهذه النصوص وأمثالها تدل أن الفتن بدأت بمقتل عثمان ثم تبعها فتن أخر كفتنة الحرة وفتنة علي ومعاوية رضي الله عنهما، ولكن السؤال عن الإسناد والاهتمام به كان منذ الفتنة الأولى، لأن أصحاب الأهواء والفساد دخلوا في الإسلام تسترا لكي يفسدوا على الأمة دينهم، مع أن الغالب في هذا العصر الصلاح ، فليس زمن يأتي إلا والذي بعده أشرّمنه.

أما فتنة علي ومعاوية رضي الله عنهما فكان أثرها على الأمة الإسلامية عظيما، حيث إن النزاع كان بين الصحابة أنفسهم بسبب الدخول في الإسلام ممن لا يمت إليه بصلة لغرض الإفساد وتفرقة أمر الأمة الإسلامية، وقد نتج على إثر هذه الفتنة بعض الفرق المنحرفة عن جادة الطريق — الشيعة والخوارج — فأخذوا في التشكيك في الدين، وبخاصة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الصحابة لهم بالمرصاد ، وقد انتهت هذه الفتنة باستشهاد الإمام علي كرم الله وجهه وجمع غفير من الصحابة، وها نحن نجني ثمار تلك الفتنة حتى اليوم حيث أن الفتن اللاحقة لم يكن تأثيرها كتأثير الفتن السابقة .

ومن خلال ذلك زاد الاهتمام بالإسناد تدريجيا لأهميته ولصيانة السنن والأحاديث من الدسائس ، وقد كثر السؤال عن الإسناد بعد الفتنة الأولى، لأنه في تلك الفترة كان يعيش كثير من الصحابة، فسرعان ما كان الحديث يرد على صاحبه إن هو أخطأ فيه، مع أن هذا المنهج كان موجودا قبل الفتنة لكن بعد الفتنة ازداد ، إضافة إلى أن الصحابة وكبار التابعين كانوا يرحلون لطلب الحديث ممن سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، كجابر بن عبد الله رحل إلى . . . وأبي أيوب الأنصاري وسعيد بن المسيب وغيرهم .

يقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمى : " إن الإسناد كان موجودا قبل وقوع هذه الفتنة،لأن الناس كانوا يحتاجون إليه كثيرا ، وماكانوا يدققون في الموضوع ، وكان الأمر متروكا للراوى نفسه إذا أحب أن يسند سنده، وإذا أحب أن يحذف الإسناد حذفه ، فلما وقعت الفتنة تنبه الناس إلى أهمية الإسناد لئلا يقوم أحد بوضع الأحاديث على لسان النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمور السياسية ".(١)

ويقول د / أكرم ضياء العمرى : " ذهب الباحثون إلى أن الإسناد بدأ عقب قيام الفتنة مستندين إلى قول ابن سيرين ، وقد بدأ الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه فى فترة مبكرة،وذلك فى أعقاب الفتنة التى بدأت من خلافة عثمان رضى الله عنه وأدت إلى التمزق والانفلاق الضخم فى كيان المجتمع الإسلامى وظهور الأهواء السياسية المتعارضة والآراء المتعصبة المتدافقة مما أدى إلى ظهور الوضع وبروز الانشقاقات عن الجماعة .(٢)

ونحن لا نتفق مع ما ذكره د / أكرم العمرى من أن الباحثين ذهبوا إلى أن هذه بداية الإسناد ، لأن هذا يتعارض مع ما ذكرته آنفا ، ومع الواقع التاريخى الثابت من خلال واقع كتب السنة فى الرواية بالسند المتصل، ومع ذلك فنحن لا ندرى من هم هؤلاء الباحثون الذين يشير إليهم .

أما فتنة عبدالله بن الزبير فلم يطلق عليها فى التاريخ الإسلامى بلفظ الفتنة،حيث تولى عبدالله بن الزبير إمارة الحجاز سنة (٦٤ هـ) حتى (٧٢ هـ)(٣) حيث وقع الصدام بينه وبين جيش عبدالملك الذى حاصره كله واستشهد ابن الزبير بعد الحصار وهذه الفتنة لم تكن لها شهرة كسابقتها بل كانت أقل شأنا منها،ولم يحصل بواسطتها تفريق الأمة

---

(١) دراسات فى الحديث النبوى (ص٣٩٧) .

(٢) انظر بحوث فى تاريخ السنة المشرفة (ص ٤٨ — ٥٠) .

(٣) البداية والنهاية (٣٢٩/٨)

وإبعاد المسلمين عن دينهم،حيث إن عبد الله بن الزبير قام بهذه الحركة المناهضة الحكم الأموى، لأنه رأى مع جمع من الصحابة أن خلفاء بنى أمية قد سلكوا طريقا مخالفا لمنهج الخلفاء الراشدين،فأراد أن يغير تلك الحال مع موافقة بعض الصحابة له،فلو كانت حركته مخالفة للشرع لتركه أصحابه وابتعدوا عنه وانحازوا إلى الدولة الأموية .

وبالنظر لصلاح ابن الزبير فهو من خيار الصحابة وممن عدلهم الله ورسوله،فكيف يتسنى له تفرقة المسلمين وإحداث النزاع بينهم .

وقد حدثت حركة عبد الله بن الزبير فى أواخر القرن الأول الذى كثر فيه الفرق والأحزاب السياسية .

أما فتنة الخليفة الأموى الوليد بن يزيد (١٢٦هـ) فلم تكن أيضا فتنة فى ذاتها ، بل كان انحرافا شخصيا من قبل بعض الخلفاء ، وهذا يدل على دنو أهل البيت الأموى وتصدعه ، وقد كانت هذه الحادثة فى أواخر الدولة الأموية وكانت من العناصر السياسية لسقوطها وتشتتها .

فالوليد كان رجلا زنديقا كما يسميه بعض المؤرخين،فقد كانت حياته قبل الخلافة فى الصحراء،حيث طرده بعض الخلفاء وذلك لتماديه فى اللهو، ولما توفى سلفه عاد إلى دمشق يطلب الخلافة واستمر فى الحكم قرابة السنة وبضعة أشهر.كان موقف العلماء فى تلك الفترة جازما، وانتهى الأمر بمقتله من قبل الغيوريين لدين الله وبذلك انتهت فترة خلافته .(١)

فهاتان الفتنتان لم يكن لهما أدنى ارتباط بالإسناد،ولم يكن الإسناد من اختصاص الأمراء والخلفاء ، بل كان من اختصاص نقاد الأمة

---

(١) انظر البداية والنهاية (٦/١٠) وما بعدها .

وعلمائها الذين دافعوا عن السنة بكل ما أوتوا من قوة بعد أن هيأهم لهذا الأمر .

أضف إلى هذا أن الفتنتين المذكورتين لم تكونا مشهورتين كسابقتهما،بل اشتهر أمرهما من قبل المستشرقين الذين يرددونها على ألسنتهم،لأنهم قاصرون عن فهم اللغة العربية ، فكيف لنا أن نقبل قولهم ، وندع قول نقاد الأمة وعلمائها وأهل التخصيص فيها والذين بينوا لنا زيادة الاهتمام بالإسناد فى بداية أول فتنة وقعت فى تاريخ الإسلام، وكان لها طابع استهداف الحديث النبوى بالمكر والكيد .

فبالمقارنة بين الفتنتين السابقتين الواقعتين فى العقد الرابع والفتنتين المتأخرتين عنهما،أرى أن المقصود بالفتنة هما الفتنة التى وقعت فى عهد عثمان والفتنة التى وقعت بين علي ومعاوية رضى الله عنهم أجمعين .

اختلاف المستشرقين وبعض شبهاتهم حول الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه :

يقول " شاخت "(١)

" إن الفتنة التى بدأت بمقتل الوليد بن يزيد (١٢٦ هـ) على مقربة من نهاية الدولة الأموية كانت تاريخا مصطلحا عليه لاعتباره نهاية الأيام الجميلة القديمة فى العصر التى كانت سنة النبى صلى الله عليه وسلم فيها غالية ، وبما أن تاريخ وفاة ابن سيرين (١١٠ هـ) ، لذلك لابد أن نعتبر أن نسبة هذا الكلام إلى ابن سيرين غير صحيح والأثر موضوع، وعلى كل حال فليس هناك ما يدعو إلى أن نقبل أن بداية الإسناد تسبق وجودها بداية القرن الثانى ".(٢)

---

(١) شاخت جوزيف (Schacht, J.)
مستشرق ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين ، تخرج فى جامعتى برسلاو وليبزنج .
عين أستاذا فى جامعة فرايبورج وفى جامعة لونسبرج ، وفى الجامعة المصرية ، ومحاضرا للدراسات الإسلامية فى جامعة أكسفورد ، وأستاذا للأحداث العلمية فى جامعة الجزائر ، وأستاذا فى جامعة ليدن ، وانتخب عضوا فى مجامع، منها المجمع العلمى العربى بدمشق .
من محررى " دائرة المعارف الإسلامية " .
من آثاره : " أصول الفقه الإسلامى " . وله دراسات نشرها فى المجلات العالمية ودائرة المعارف الإسلامية وغيرها .
انظر : المستشرقون (٢/٤٦٩ ـ ٤٧١) والاستشراق والمستشرقون (ص ٣٨) .

(٢) Schacht, J.: The Origins, p. 136 - 137

يقول " روبسون "

" إن المراد بالفتنة فتنة ابن الزبير (٧٢ هـ) وهذا يوافق عمر ابن سيرين أو نصا أورده الإمام مالك فى الموطأ (كتاب الحج ٤٩) حيث أطلق كلمة الفتنة على خروج ابن الزبير على بنى أمية ، وقد وافق روبسون بهذا الرأى هوروفيتش " . (١)

يقول " وات " (٢) :

" أخذت فئة قليلة من الأشخاص منذ نهاية القرن الأول الإسلامى بجمع كل الأخبار التى تستطيع جمعها عن حياة محمد و مغازيه ثم كتب بعضهم ما جمعوه، ومنها بدأ أن هؤلاء الجامعين الأوائل للأخبار قد محصوا مصادرهم بعناية، فإنهم لم يذكروا فى جميع الحالات الإسناد الكامل أو سلسلة الرواة التى تعود بنا القهقرى إلى الشاهد العيان للحوادث ثم أصبح الإسناد الكامل شيئا نسبيا ضروريا . (٣)

---

(١) هورورفيتش ، جوزيف (Horovitz, J.)
مستشرق يهودى ألمانى ، عين مدرس فى جامعة برلين (١٩٠٢) أستاذ العربية فى جامعة عليجرة بالهند (١٩٠٧—١٩١٤ م) وقد تخرج عليه فيها كثير من الفقهاء والعلماء ، وكان متخصصا بالإسلام فى الهند ، وخبيرا بخطوطه لدى الحكومة .
ثم انتقل إلى جامعة فرانكفورت (١٩١٥—١٩٣١) حيث عد من أشهر أساتذتها .
من آثاره : " الشيعة " و " الزكاة " و " الإسناد " .
انظر : المستشرقون (٢/ ٤٣٢ — ٤٣٣) ، وموسوعة المستشرقين د / عبدالرحمن بدوى (ص ٤٣٣) .

(٢) مونتجومرى ، وات (Watt, M.)
عميد قسم الدراسات العربية فى جامعة أنبرا .
من آثاره : " اللغة العربية " من تاريخ الجزيرة العربية عوامل انتشار الإسلام . محمد فى مكة .
انظر : المستشرقون (٢/ ١٣٢) .

(٣) محمد فى المدينة (ص ٥١٦) .

مناقشة شبهات المستشرقين :

بعد أن نظرت إلى شبهات المستشرقين التى سبق ذكرها رأيت أنها مختلفة فى تحديد زمن الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه، وهذا الاختلاف راجع إلى قول ابن سيرين " فلما وقعت الفتنة " (١) .

فالمستشرق روبسون ردّ ذلك إلى فتنة ابن الزبير سنة (٧٣ هـ) ، والمستشرق شاخت رد ذلك إلى فتنة الوليد بن يزيد الخليفة الأموى (١٢٦ هـ) (٢) ، فكلا القولين خطأ لأن هاتين الفتنتين كما سبق أن ذكرت أنهما لم تشتهر عند المؤرخين بلفظ الفتنة، وحيث أن هاتين الفتنتين لم يكن لهما تأثير على الحديث النبوى، لأن الأولى تختص بالحكم، والأخرى تختص بالسلوك الشخصى الذى كان يعيشه ذلك الخليفة .

إضافة إلى أنهما لو كانتا مؤثرتين على الحديث النبوى لاشتهر ذلك بين علماء الأمة وذكروه فى كتبهم .

ولم يثبت أن وضع أحاديث لهاتين الفتنتين أبدا .

لكن لعدم فهم بعض المستشرقين لهذه اللفظة وعدم معرفتهم باللغة العربية أو لدوافع وأسباب أخرى أخطأوا الطريق .

فمثلا، المستشرق روبسون رد استعمال هذه اللفظة إشارة إلى فتنة ابن الزبير بناء على اعتماده على أثر ورد فى موطأ الإمام مالك ذكر فيه لفظ الفتنة (٣) .

وهذا يدل على قصر فهم المستشرق حيث إن الإمام ابن سيرين تحدث بضمير الغائب، وهو يريد بذلك الصحابة الكرام فلو كان يريد فتنة

---

(١) انظر مقدمة الإمام مسلم (١ / ٨٨ — ٨٩) .

(٢) Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.21-22.
Schacht, J.: The Origins, p. 136 - 137.

(٣) انظر الموطأ ، الحج ، باب ماجاء فيمن أحصر حديث رقم ٩٩

ابن الزبير لتحدث بضمير المتكلم،وهذا يدلنا على أن السؤال عن الإسناد لم يكن فى هذه الفترة وإنما كان فى الفتنة الأولى والثانية،وذلك استنادا إلى قول ابن سيرين (قالوا سموا لنا رجالكم)، فهو يقصد بكلامه هذا الصحابة الذين عاصروا الفتنة الأولى والثانية .

أما شاخت،فهو يرد استعمال الإسناد والسؤال عنه إلى القرن الثانى،بناء على اعتماده على تاريخ الطبرى الذى ذكر فى حوادث(١٢٦هـ) لفظ الفتنة وهو يريد أن يحكم على قول ابن سيرين بالموضع .

فقول شاخت لا نسلم به،لأنه استقى مقولته من إطلاق فى كتاب تاريخى،والمحدثون قد ذكروا قول الإمام ابن سيرين وتناقلوه وحكموا عليه بالصحة، وذكر الإمام مسلم فى مقدمته، وهذا مخالف لقول شاخت القائم على المجازفة والهوى ، وحيث إنه لم يذكرفىالتاريخ الإسلامى أن عام (١٢٦ هـ) يعتبر نقطة تحول ونهاية الأيام القديمة الجميلة، وإذا كان هناك عصر يعتبره المسلمون بهذا الوصف فهو عصر الخلفاء الراشدين لا غير ".(١)

كما أن البروفسور روبسون ناقش شاخت أيضا فى فهمه للأيام الجميلة القديمة، واحتج بحديث " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه " .(٢)

فيقول:"إن هذا الحديث يدل على فساد الأمور بعد ثلاثة قرون، فيوافق مع عمر ابن سيرين وفتنة ابن الزبير " .(٣)

---

(١) تاريخ الطبرى (٢٦٢/٧) .

(٢) انظر دراسات فى الحديث النبوى (ص ٣٩٥) .

(٣) صحيح البخارى ك الشهادات (١٩١/٥) فتح البارى .

فهذه الأقوال الواردة عن بعض المستشرقين حول الفتنة التي أطلقها ابن سيرين حول الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه خطأ،لأنها قائمة على المجازفة وعدم فهم اللغة العربية، حيث إن هذا الاهتمام بالإسناد لابد لنا على أن الصحابة والتابعين لم يستعملوا الإسناد في الحديث قبل الفتنة، بل كان بعضهم يسند ما يرويه تارة ولا يسنده في بعض الأحيان، كما دلنا على ذلك بعض الألفاظ الواردة عنهم مثل " رأيت ، سمعت، حدثني " وغيرها .

فبعض المستشرقين تجاهلوا هذا الأمر،وأرادوا أن يشككوا المسلمين في استعمال الصحابة للإسناد أو الاهتمام به،وذلك راجع إلى لفظة واحدة وهي لفظة الفتنة التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم،كما سبق أن ذكرته في بداية المبحث، ويقصد بها فتنة عثمان رضي الله عنه بالأخص والفتنة الأخرى التي تتبعها، خلافا لما يدعيه روبسون وشاخت في فهمهما لهذه اللفظة .

يقول د / محمد الأعظمي : " وإذا كان للمرء أن يفسر الأحداث تبعا لهوى في النفس ضاربا بكافة الحقائق التاريخية عرض الحائط فيمكن أن نفسر الفتنة بفتنة هولاكو أو التتار ". (١)

ومما يدلنا أن السؤال عن الإسناد بدأ بعد فتنة عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم ما رواه طاووس: " فجعل بشير يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذا وكذا فعاد له فقال له : ما أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا ؟ .

---

(١) دراسات في الحديث النبوي (ص ٣٩٥) .

فقال له ابن عباس : " إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه ".(١)

ثم جاء عصر التابعين وأتباعهم فتشددوا في الإسناد والسؤال عنه والالتزام به، ويدل ذلك ما رواه ابن عبد البر عن الشعبي عن الربيع بن خثيم أنه قال : ... الحديث .

قال الشعبي حول هذا الحديث أفقلت للربيع بن خيثم من حدثك بهذا الحديث ؟ قال عمرو بن ميمون الأزدي فلقيت عمرو بن ميمون فقلت من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عبد الرحمن بن أبي ليلى فقلت من حدثك قال : أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢)

فهذان المثلان يدلان على وقوع السؤال عن الإسناد في وقت مبكر عكس ما يدعيه المستشرقون، حيث إن صغار الصحابة وكبار التابعين حافظوا على السنة سندا ومتنا لكي لا يدخل فيها ما ليس منها، وبهذا الاهتمام والعناية أصبح الإسناد أمرا بدهيا عند العامة والخاصة كما أن بعض النقاد كانوا يرسلون الحديث لأنهم على جانب كبير من العلم بالإسناد، وكانوا يؤدونه وقت الطلب واستعملوا الإرسال اختصارا للطالب " روى عن حماد بن سلمة أنه قال : " كنا نأتي قتادة فيقول بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم وبلغنا عن علي، ولا يكاد يسند، فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصري جعل يقول : حدثنا إبراهيم وفلان وفلان فبلغ قتادة ذلك، فجعل يقول سألت مطرفا ، سألت سعيد بن المسيب ، وحدثنا أنس ابن مالك فأخبر بالإسناد ولم يكونوا يسألونه عن السند ".(٣)

(١) مقدمة الإمام مسلم ، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء (١/ ٨١)
(٢) انظر المحدث الفاصل (ص ٢٥) .
(٣) طبقات ابن سعد القسم الثاني (٢/ ٧) .

وخلاصة القول :

إن الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه زاد بعد فتنة عثمان وعلى ومعاوية رضي الله عنهم،حيث بدأ الوضع والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخفاء وبصورة ضيقة،ويدل على ذلك موقف ابن عباس مع ابن أبى مليكة حول قضاء على وموقفه من بشير العدوى . (١)

وحيث إن بعض الصحابة كانوا فى تلك الفترة يعيشون فى أغلب الأمصار الإسلامية فلم يستطع هؤلاء المنحرفون أن يجاهروا بالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الصحابة كانوا لهم بالمرصاد .

إضافة إلى أن المراد بالفتنة الواردة فى كلام ابن سيرين قد اختلطت على بعض المستشرقين، فلم يفرقوا بين السابقة واللاحقة، عند ذلك اختلطت مزاعمهم حول الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه،فبعضهم يؤخره نصف قرن والبعض الآخر يؤخره قرن ونصف تبعا لقصر فهمهم للغة العربية أو غيره من الأسباب .

ومن هذا كله أقول إن الاهتمام بالأسانيد والسؤال عنها زاد بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه،واشتد بعد فتنة على ومعاوية عندما كثر التفرق من بعض الناس عن جادة الحق، عند ذلك قال الصحابة الكرام لمن حدثهم: سموا لنا رجالكم .

الفصـــل الثـــانى

الإسنادفى عصر التابعـين وتابعـهم ونقد شبهـــــات المستشرقين حولـــــــــه

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقف التابعـين حول الإسناد ونقد شبهـــــة المستشرقين الموجهة إلى نقاد الحديث .

المبحث الثانى : نقد شبهـة المستشرقين اعتباطية الأسانيـد ومناقشتهم .

المبحث الثانى : دعـوى المستشـرقين أعتباطية الأسـأنيد و منـاقشـــتهم .

الفصل الثاني

المبحث الأول

موقف التابعين من الإسناد
ونقد شبهة المستشرقين الموجهة إلى نقاد الحديث

المبحث الأول
موقف التابعين حول الإسناد ونقد شبهة المستشرقين الموجهة إلى نقاد الحديث

جهود المحدثين حول إسناد الحديث :

لقد كان للتابعين اهتمام بالإسناد كاهتمام الصحابة،ولكن زاد الاهتمام بناء على توسع الوضع فى القرن الثانى،لأن عصر الصحابة كان خاليا من ذلك .

وقد وقف العلماء تجاه ذلك وقفة جبارة،وهذا ما يظهر من خلال مصنفاتهم فى الرجال،وسوف أعطى نبذة قصيرة عن موقفهم تجاه الإسناد، وسيكون حديثى مقتصرا على العناصر التالية :

أ ــ الإسناد وموقف النقاد منه .

ب ــ السؤال عن الإسناد .

جـ ــ الاهتمام بالإسناد العالي .

د ــ الرحلة فى طلب الإسناد .

هـ ــ اهتمام المحدثين بالتاريخ .

وقد سبق أن ذكرت بعضا من أقوالهم فى تعريف الإسناد،وسأذكر أقوالا أخرى لتدلنا على مدى الجهود التى بذلوها فى الحديث النبوى ــ سندا ومتنا ــ ويظهر لنا الرد على اتهام المستشرقين لهم بصفات ذميمة والتى لم تكن فيهم وإنما أطلقوا ذلك ربما لأنهم لم يكونوا يفرقون بين الضعفاء والثقات أو ربما أرادوا تلصيق التهمة لينطلقوا منها بالحكم على الأحاديث النبوية بالوضع بناء على تلك المزاعم التى ادعوها .

وقد هيأ الله هؤلاء العلماء واختارهم لحمل هذه الأمانة

لأنه سبحانه وتعالى قد تكفل بذلك في قوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1]

وهذه العناصر التي سردتها آنفا ليست كل جهد المحدثين،ولكن بعض من كل،وسوف أعطي لكل عنصر شرحا موجزا معززا لها بأدلة تثبت عن نقاد الحديث وعلمائه .

أولا ـ الإسناد وموقف التابعين منه :

تسلم التابعون الراية من بعد الصحابة لحمل السنة وروايتها وحفظها،وقد أخذ التابعون من نقاد الحديث يحرصون أشد الحرص على رواية الحديث متبعين في ذلك منهج الصحابة الذي ساروا عليه من تثبت واحتياط وتدقيق حول إسناد الحديث .

كما اهتموا بنقد الرجال لكي يقوا الإسناد من الوضع والكذب، ليصلوا بذلك إلى الصحيح المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الإسناد هو الوسيلة للوصول إلى معرفة الحديث والعمل به،ولا يمكن معرفة الصحيح من السقيم إلا بالنظر إليه وإلى المتن على حد سواء .

لذا فإني سأتناول بعضا من موقف التابعين حول الإسناد بأدلة تثبت عنهم،ويظهر ذلك في العناصر التالية :

أ ـ أقوال نقاد الحديث في الإسناد :

لقد حفلت كتب الرجال ومصطلح الحديث بأقوال العلماء حول الإسناد وتتبعهم له حتى حفظوا الإسناد والمتن لكي لا يدخل فيه من ليس أهلا لذلك، وقد بدأ التابعون ذلك منذ عصر صغار الصحابة،ويدلنا على حرصهم في ذلك .

---

(١) سورة الحجر آية (٦) .

— ما رواه ابن عدى فى كامله حيث قال : " سئل الحسن البصرى عن إسناد مراسيله قال له رجل : " إنك تحدثنا فتقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كنت تسند إلى من حدثك ؟ فقال له : إنا والله ما كذبنا ولا كذبنا، ولقد غزونا غزوة إلى خراسان ومعنا ثلاثمائة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم " .(١)

— ويقول بهز بن أسد عندما ذكر له الإسناد قال : " هذه شهادات للرجال العدول المرضيين بعضهم على بعض " ويقول : " لا تأخذوا الحديث إلا عمن يقول حدثنا ".(٢)

وعن أبى بكر بن خلاد قال : قلت ليحيى بن سعيد القطان : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصما لك عند الله تعالى؟ قال : لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : " لم حدثت عنى حديثا نرى أنه كذب ".(٣)

ويقول حماد بن زيد كلمنا شعبة أنا وعباد بن عباده وجرير بن حازم فى رجل فقلنا: لو كففت عنه ؟ قال فكأنه لان وأجابنا . قال فذهبت يوما أريد الجمعة، فإذا شعبة ينادى من خلفى فقال : ذاك الذى قلتم لى فيه لا أراه يسعنى ".(٤)

فهذه الجهود التى بذلها علماء الحديث فى الإسناد جعلت العامة يعرفون الثقة من غيره، ويدل على هذا ما رواه ابن حجر عن يزيد بن هارون قال: كان جعفر بن الزبير وعمران بن جرير فى مسجد واحد

---

(١) انظر ابن عدى فى الكامل (١/١٥١) .
(٢) انظر معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ٦) .
(٣) انظر الكفاية (ص ٤٤) .
(٤) انظر الجرح والتعديل (١/ ٢١) .

وكان شعبة يمر بهما فيقول : يا عجبا للناس اجتمعوا على أكذب الناس وتركوا أصدق الناس ، قال يزيد : فما أتى عليه قليل حتى رأيت ذاك الزحام على عمران وتركوا جعفرا وليس عنده أحد "(١).

إضافة إلى أن بعضهم قد عين أياما يتكلم فيها عن الرجال وأحوالهم، قال أبو زيد النحوى : " أتينا شعبة يوم مطر فقال : ليس هذا يوم حديث، اليوم يوم غيبة ، تعالوا نغتاب الكذابين " .(٢)

فهذه بعض الآثار الواردة عن نقاد الحديث تدلنا على تمسكهم بمنهج الصحابة فى التثبت والتدقيق فى الرواة، ويدلنا على هذا ما قاله الإمام مسلم عن نقاد الحديث حول الرواة وكشف معايبهم ". وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث وناقلى الأخبار وأفتوا بذلك حين سئلوا، لما فيه من عظيم الخطر إذ الأخبار فى أمر الدين إنما تأتى بتحليل أو تحريم ... " الخ . ويقول : " فإذا كان الراوى ليس بمعدن للصدق والأمانة ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثما بفعله ذلك غاشا لعوام المسلمين إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها ويستعمل بعضها، ولعلها أو اكثرها أكاذيب لا أصل لها مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقة ولا مقنع".(٣)

ومن هذه الآثار رأيت أن الإسناد قد أخذ حظه من العناية والاهتمام فى عهد التابعين وأتباعهم حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروى، لذا شبه الإسناد بالبيت بلا سلم أو بلا سقف ولا دعائم

---

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٢ / ٩١) .
(٢) انظر الكفاية (ص ٤٥) .
(٣) مقدمة الامام مسلم (١ / ١٢٣ — ١٢٤) وانظر كذلك مقدمة تاريخ الثقات للعجلى (ص ٢١ — ٢٣) .

قد قال قائلهم :

والعلم إن فاته إسناد سنده * كالبيت ليس له سقف ولا خشب (١)

ب ـ السؤال عن الإسناد :

لقد كان السؤال عن الإسناد منذ عصر صغار الصحابة وذلك حينما وقعت الفتنة ، ويدل على هذا ما ذكره محمد بن سيرين " لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم " . (٢)

ثم طبق التابعون هذا المنهج حيث كانوا لا يقبلون حديثا إلا بعد ما يسألون عن الراوى وعمن أخذ ويدلنا على ذلك

ما رواه ابن أبى حاتم بإسناده إلى أبى داود قال : " حدثنا شعبة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال ... " الحديث .

قال شعبة قلت لعبدالله بن دينار أنت سمعته منه ؟ قال : نعم سأله ابنه سالم ". (٣)

وقال عبدالرحمن بن مهدى : سألت شعبة وابن المبارك وسفيان الثورى ومالك بن أنس عن الرجل يتهم بالكذب . فقالوا انشره فإنه دين" (٤)

ولهذا فإن التابعين قد أتقنوا الإسناد وبرزوا فيه كما برزوا فى غيره من علوم الحديث حتى كانوا محط السؤال لمن سأل عن راو لا يعرف حاله يقول ابن عبدالبر : " فهكذا مراسيل الثقات إذا سئلوا أحالوا على الثقات . (٥)

---

(١) انظر المحدث الفاصل (ص ٢٢) .

(٢) انظر مقدمة الإمام مسلم (١ / ٨٥) .

(٣) انظر مقدمة الجرح والتعديل (ص ١٦٣ـ١٦٤) .

(٤) انظر مقدمة التمهيد (ص ١٢) .

(٥) مقدمة التمهيد (ص ١٠)

ويقول شعبة : " كنت أجالس قتادة فيذكر الشيء فأقول كيف إسناده فتقول المشيخة الذين حوله إن قتادة سند فأسكت فكنت أكثر مجالسته فربما ذكر الشيء فأذكره فعرف مكاني ثم كان يسند لي "(١)

فهذه الأدلة تدلنا أن أئمة الحديث ونقاده في ذلك العصر كانوا على جانب عظيم من الوعي والاطلاع على أمر السند، فقد كانوا يسألون عن الإسناد لئلا يدخل فيه ما يخل بالرواية وعرفوا الصحيح من الضعيف والموضوع حتى لا يختلط عليهم الحديث، والتمييز الخبيث من الطيب، وقد فسر لنا هذا الأمر الإمام سفيان الثوري حيث قال : " إني لأروي الحديث على ثلاثة أوجه أسمع الحديث من الرجل اتخذه دينا وأسمع من الرجل أقف حديثه وأسمع الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته ذلك ".(٢)

جـ ــ اهتمامهم بالإسناد العالي :

لقد كان للإسناد العالي من قبل نقاد الحديث موقف خاص، ويظهر هذا الموقف من خلال أقوالهم التي ذكروها في ذلك، ومنها ما ذكره ابن المبارك حيث يقول " ليس جودة الحديث قرب الإسناد، بل جودة الحديث صحة الرجال " .(٣)

ويقول الإمام أحمد " طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف، لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه " .(٤)

وقال ابن الصلاح : " العلو يبعد الإسناد من الخلل لأن كل

---

(١) انظر مقدمة الجرح والتعديل (ص ١٦٦) .
(٢) انظر الكفاية (ص ٤٠٢) والجامع لأخلاق الراوي (ص ١٥٧) .
(٣) انظر تدريب الراوي (٢/ ١٧١ ــ ١٧٢) .
(٤) انظر المرجع السابق .

رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهوا أوعمدا ففى قلتهم قلة جهات الخلل وفى كثرتهم كثرة جهات الخلل وهذا جلىواضح" (١).

كما أن العلماء قد شبهوا الإسناد النازل بالقرحة فى الوجه، فمن ذلك ما قاله ابن معين : "الإسناد النازل قرحة فى الوجه " (٢)

فهذا الاهتمام منهم ليس غرضه القرب فقط،بل كانوا ينظرون إليه معءدالة الراوى، أما إذا لم يكن عدلا أو ضابطا فإنهم يفضلون فى ذلك النازل إذا توفرت فيه العدالة والضبط .

يقول السلفى : "الأصل الأخذ من العلماء فنزولهم أولى من العلوعن الجهلة على مذهب المحققين من النقلة والنازل حينئذ هو العالى" . (٣)

فهذه بعض الأدلة الواردة عن نقاد الحديث تدلنا على دقة منهجهم حول الإسناد العالي والنازل للحديث الشريف .

د ـ رحلتهم فى طلب الإسناد :

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ما يستدعى الرحلة أحيانا يقول تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (٤).

كما أن بعض الصحابة قد رحلوا إلى مصر والشام لطلب الرواية من أقرانهم، ثم سلك التابعون هذا السبيل ورحلوا إلى المناطق النائية للحديث أو الكلمة،بل ربما لحرف واحد وقد أخبرنا سعيد بن المسيب

---

(١) انظر مقدمة ابن الصلاح (ص ٣٠٦) وكذلك الباعث الحثيث(ص١٦٠)

(٢) تقريب مع شرحه تدريب الراوى (٢ / ١٧١ ـ ١٧٢).

(٣) الباعث الحثيث (ص ١٠٦).

(٤) سورة التوبة آية (١٢٢).

عن سبب رحلته حيث يقول : " إن كنت لأسير فى طلب الحديث مسيرة الليالى والأيام فى الحديث الواحد " .(١)

ولا شك أن للرحلات العلمية فوائد كثيرة قلما يحصل عليها المحدث فى بلده،ومن تلك الفوائد زيادة الشيوخ أو لقياهم والأخذ عنهم والمذاكرة معهم مع علو الإسناد،وهذا من مقاصد رحلاتهم ".(٢)

يقول الإمام البخارى : " ولا أحصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثى أهل خراسان فى جماعة منهم ".(٣)

كما أن شعبة رحل من العراق إلى مكة ثم عاد إلى المدينة .(٤)

ويدل كذلك على قيمة الرحلة والبحث عن الإسناد ورجاله ما رواه ابن حبان عن شعبة بن الحجاج أنه سمع أبا إسحاق يحدث عن عبدالله ابن عطاء عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم " الحديث ". فسأله شعبة سمعت عبدالله بن عطاء يحدث عن عقبة بن عامر ؟ قال أبو إسحاق سمعت عبدالله بن عطاء . قال شعبة : عبدالله سمع عقبة ابن عامر ؟ فقال أبو إسحاق اسكت فقال شعبة: لا أسكت ، وكان مسعر ابن كدام حاضرا فالتفت إلى شعبة وقال ياشعبة عبدالله بن عطاء حي بمكة ، فخرج شعبة إلى مكة فلقى عبدالله بن عطاء وسأله عن حديث الوضوء من رواه ؟ فأجاب عقبة بن عامر، فاستحلفه شعبة هل سمعت منه ؟ قال : لا . حدثنى سعد بن إبراهيم فمضى شعبة إلى المدينة حيث لقى هناك سعد بن إبراهيم فسأله فأجاب من عندكم خرج حدثنى زياد بن مخرق

---

(١) معرفة علوم الحديث (ص ٨) والمحدث الفاصل (ص ٢٢٣)وجامع بيان العلم (١/ ٩٤) .

(٢) انظر فتح المغيث (٢/ ٨٦) .

(٣) انظر الكفاية (ص ٤٠١) .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٧) .

فانحدر شعبة إلى البصرة فلقى زياد بن محراق وهو شاحب اللون وسخ الثياب كث الشعر فسأله فقال:حدثنى شهربن حوشب عن أبى ريحانه فقال شعبة: هذا حديث صعد ثم نزل دمروا عليه ليس له أصل .(١)

وهكذا يظهر لنا جهود العلماء وتدقيقهم للرواة،ومن ثم عرفوا بواسطة الرحلة صحة الحديث من ضعفه ،وكذلك تعدد الطرق للحديث الواحد حتى كان أحدهم يعانى من الحديث الواحد كما مر معنا عن شعبة وهكذا غيره .

إضافة إلى أن العلماء كلهم قد اهتموا بالإسناد أيما اهتمام ، ويظهر هذا ما ذكرناه عن اهتمامهم به،وليس هدفهم فى هذا الجهد إلا المحافظة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الخطيب البغدادى : " لو كان حكم المتصل والمرسل واحد لما ارتحل كتبة الحديث وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم فى سائر الآفاق ".(٢)

هـ ـ اهتمامهم بتاريخ الرواة :

لقد اهتم المحدثون بالتاريخ عندما استعمل الرواة الكذب لكى يبينوا فيه غرضهم ورد روايتهم،وفى ذلك يقول سفيان الثورى : " لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ ".(٣)

ويقول حفص بن غياث : " إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين" يعنى احسبوا سنه وسن من كتب عنه " .(٤)

---

(١) انظر المجروحين (١/ ٩) والرحلة فى طلب الحديث(ص٤ ٦-٦٥)
(٢) انظر الكفاية (ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣) .
(٣) انظر الإلماع (ص ٨٦) والكفاية (ص ٣٤٥) .
(٤) انظر الكفاية (ص ١٩١) .

وقد ثبت عن بعضهم أنه حدث عن رجل ثقة ولما سأله أحد المحدثين عن ذلك ظهر كذبه،ويدل على هذا ما رواه عفير بن معدان الكلاعي أنه قال : " قدم علينا عمر بن موسى حمص ما اجتمعنا إليه في المسجد فجعل يقول : حدثنا شيخكم الصالح فلما أكثر قلت له:من شيخنا الصالح ؟ سمه لنا نعرفه قال : فقال خالد بن معدان قلت له في أي سنة لقيته ؟ قال : لقيته سنة ثمان ومئة . قلت فأين لقيته ؟ قال : لقيته في غزاة أرمينية قال : فقلت : اتق الله ياشيخ ولا تكذب وإن خالد بن معدان مات سنة أربع ومئة ، وأنت تزعم أنك لقيته قبل موته بأربع سنين ". (١)

فهذه الآثار تدلنا على عناية المحدثين ونقاده بالبحث عن الرواة لكي يتحاشوا في الإسناد الخلل والوضع في الحديث فإذا لم يعرفوا حال الرواة استعملوا معهم طريقا آخر ليتبين حاله وهو التاريخ .

وهذا منهج آخر للمحدثين في الحفاظ على الحديث الشريف من الكذب .

ونتيجة لهذه الجهود التي بذلها التابعون حول الإسناد وما حظي به من اهتمام كبير فقد التزمت به كتب الحديث التي دونت منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري والتي أطلق عليها اسم المسانيد وهو اسم واضحة فيه فكرة الإسناد،وقد وصل إلينا بعضا من هذه الكتب مثل مسند معمر بن راشد (ت ١٥٢ هـ) ومسند الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ) ومسند الحميدي (ت ٢١٩) وقد كونت هذه المسانيد مادة أساسية اعتمدتها الكتب المدونة بعدها والتي ظهرت في العصور اللاحقة والتي وجدنا فيها التزاما دقيقا ومنهجا ثابتا لذكر الأسانيد التامة مما يلقي ضوءا على الموارد التي استقت منها .

---

(١) انظر الكفاية (ص ١١٩).

ثـانيا ـ شبهات المستشرقين حول رجال الحديث ونقدها :

لقد تحدثت فى الفصل السابق عن الإسناد فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والشبهات التى زعمها المستشرقون حول نشأة الإسناد والفتن، فى هذا المبحث سأذكر بعض شبهات المستشرقين تجاه علماء الحديث فمن ذلك .

يقول كاتيانى:" أقدم من قام بجميع الأحاديث وهو عروة (ت ٩٤) لا تستعمل الأسانيد ولا يذكر المصدر لكلامه غير القرآن ".(١)

يقول " اشبرنجر "(٢)

" إن كتابات عروة إلى عبدالملك خالية من الأسانيد ولذلك فما نسب إلى عروة من استعماله للأسانيد لابد أن يكون شيئا متأخرا نسبيا"(٣)

---

(١) حوليات لكايتانى (٧٧/١)

(٢) شبرنجر ،ألويس (١٨١٣ـ١٨٩٣) (Sprenger, A.)

ولد فى التيرول ، وتعلم فى أنسبروك وفيينا وباريس ، ورحل إلى لندن ، وتجنس بالجنسية البريطانية (١٨٣٨) ونال الدكتوراه فى الطب من ليدن (١٨٤١) فأرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند طبيبا (١٨٤٢) وولته الحكومة رئاسة الكلية الإسلامية فى دلهى ، ثم مدرسة كلكتا وعينته مترجما بلغة الفارسية . فأصدر فى دلهى أول صحيفة أسبوعية بالهندستانية ، وانقطع عن خدمة الحكومة (١٨٥٧) فعين أستاذا للغات الشرقية فى جامعة برن بسويسرا ثم اعتزل التعليم إلى التأليف فى هايد لبرج .

من آثاره : أصول الطب العربى على عهد الخلفاء ، معجم المصطلحات العلمية لدى المسلمين ، سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

انظر : المستشرقون (٢٧٧/٢ ـ ٢٧٨) .

(٣) انظر: Robson, J.: The Isnad, p.18.

يقول روبسون :

" إننا نعلم أن ابن إسحاق فى النصف الأول من القرن الثانى أعطى أكثر معلوماته بدون إسناد وأكثر ما بقى منه بدون إسناد كامل وأسلافه لابد كانوا أقل اهتماما بالأسانيد منه لكنه لا يصح أن نقول إن الإسناد راجع إلى عهد الزهرى ولم يكن معلوما فى عصر عروة بينما نظام الأسانيد البالغ إلى كامل نشوته أخذ وقتا طويلا وتما نموا بطيئا يمكن أن نقبل أن بعض الأسانيد راجع إلى القدم كما يدعيه الناس".(١)

يقول كاتيانى :

" إن عروة بن الزبير من أوائل الشخصيات الذين جمعوا الروايات الصحيحة والكاذبة وحاولوا أن ينظموها ويرتبوها ".(٢)

يقول تشارلزجي آدامر(٣) فى مقالته :

"هناك سؤال آخر يمكن إثارته فى حجية الإسناد للحديث وما هو خاص بتسلسل الإسناد هل كان جميع الرواة فى التسلسل معاصرين وهل التقوا مع بعض فى حياتهم وفى حالة حدوث لقاء هل كان المحدث محل السؤال يتم نقله من الواجد للآخر ؟ وكان المحدثون ينظرون إلى هذه الأمور من جانب القدرة الإنسانية ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أنهم كانوا حول السلسلة " التسلسل " لكل سند ربما كان من الممكن أن بعض الروايات قد تكون صحيحة وربما كانت فى الواقع غير صحيحة لأنه من المحتمل أن يكون هناك بعض الكذب وعدم المصداقية من جانب الراوى فى وسط سلسلة النقل وربما يكون ممكنا أيضا أن يعطى الحكم الذى نحكم عليه

---

(١) Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.20.

(٢) انظر : حوليات لكاتيانى (١ / ٧٦)

(٣) لم أقف على ترجمته .

بأنه غير جدير بالتصديق ، وربما يكون في الواقع يمكن الاعتماد عليه ".(١)

يقول ميور (٢) في كتابه المشهور "حياة محمد" :

" لقد اعتمد المسلمون على الأسانيد لتوثيق الحديث فيرى إمكانية الدس في أي سلسلة من سلاسل الإسناد ، فكل راو من الرواة قائم بنفسه بمثابة الشاهد فلا نستطيع أن نقطع أن هذه الدسائس مدرجة ".(٣)

---

(١) حجية الأحاديث مقالة تشارلز جي آدامز ترجمة أسامة

(٢) ميور ، السير وليم (١٨١٩-١٩٠٥) (Muir, S.W.)

مستشرق ومبشر وموظف إداري إنجليزي ، تعلم الحقوق في جامعتي جلاسجو وأدنبرا ، وعلم في أدنبرا حيث امتاز بمحاضراته امتيازه بخدماته التي أداها للهند يوم أرسل إلى البنغال (١٨٣٧) وعين أمينا لحكومة الهند (١٨٦٥-١٨٦٨) ثم أختير رئيسا لجامعة ادنبرا (١٨٨٥ - ١٩٠٢) .

من آثاره : سيرة النبي والتاريخ الإسلامي ، حوليات الخلافة ، صعودها وانحدارها وسقوطها . مصادر الإسلام دولة المماليك في مصر .

انظر : المستشرقون (٢/٥٩) وموسوعة المستشرقين (٤٠٤ - ٤٠٥) .

(٣) Muir, S.W.: Life of Muhammad,

يقول كولسون : (١)

" إذا كانت سلسلة الإسناد متصلة وكان كل فرد من أفراده فى اعتبارهم عدد فحينئذ قبلوا الحديث وصار شرعية واجبة ". (٢)

ويقول كاتيانى :

" إن الأصحاب مثل التابعين ومن بعدهم من رواة الحديث ليسوا بريئين من الكذب " . (٣)

يقول شاخت :

" إن هناك كثيرا من المساوئ الأصلية فى الحديث أى أن نصف الأحاديث فى صحيح البخارى ليست أصلية وغير موثوق بها ". (٤)

---

(١) كولسون (Coulson, N.J.)

واحد من أكبر المستشرقين الإنجليز المعاصرين المعنيين بدراسة الفقه الإسلامى وتدريسه بجامعة لندن ، تتلمذ على المستشرق المشهور شاخت وقد زار بعض البلاد الإسلامية ، وعمل أستاذا زائرا بإحدى الجامعات النيجيرية .

من آثاره : " كتاب الميراث " و " فى تاريخ التشريع الإسلامى"

انظر : مقدمة كتاب فى تاريخ التشريع الإسلامى (ص ٣) .

(٢) Coulson, N.J.: European Criticism of Hadith Li - terature,

(٣) انظر : حوليات لكايتانى (١/٧٨) وما بعدها .

(٤) Schacht, J.: The Origins of Mohammadan Jurispru- dence, p. 126.

ويقول غيـــوم :[1]

" حتى البخارى كان يقنع أن يحدد بحثه في نقل سلسلة أنساب الرواة في الإسناد مفضلا ذلك على نقد المتن ونقد أحوال حياة الرواة فأى حديث ليس شكله مقبولا صار بحكم الطبع محتوم به " .[2]

خلاصة شبهات المستشرقين حول علماء الحديث :

بعد أن سردت أقوال المستشرقين تجاه علماء الحديث سأذكـــر خلاصة تلك الأقوال في النقاط التالية ، ثم أتبعها بمناقشتها :

١ — اتهام المحدثين بالكذب .[3]

٢ — تجريحهم الإمام البخارى وكتابه .[4]

٣ — اتهام المحدثين بعدم التفريق بين الإسناد الصحيح والضعيف.[5]

٤ — نقد المستشرقين المنهج المحدثين ووصفه بالضعف استنباطا .[6]

---

(١) ألفرد جيوم (١٨٨٨ — ١٩٦٢) (Guillaume, A.) مستشرق إنجليزى تخرج في جامعة أكسفورد وعمل في فرنسا ومصـــر خلال الحرب العالمية الأولى . أستاذ اللغات الشرقية فـــى جامعة درهام ، وأستاذ زائر للغة العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت وفي جامعة إستانبول ، وعضو في مجامع منها المجمع العلمى العربى في دمشق والمجمع العراقى .
من آثاره : " مدخل إلى علم الحديث " والتشريع الإسلامى " و " الإسلام " .
انظر: المستشرقون (٢ / ١١٧-١١٨) والاستشراق والمستشرقـــون (ص ٣٠).

(٢) Guillaume,A.: The Tradition of Islam, p.17.

(٣) Robson, J.: The Isnad, p.18
Muir, S.W.: Life of Muhammad,

(٤) Schacht,J.: The Origins, p. 136.
Guillaume,A.: The Tradition of Islam, p.17.

(٥) Coulson, N.J.: European Criticism, p.

(٦) Muir, S.W.: Life of Muhammad, p.

مناقشة شبهات المستشرقين :

الشبهة الأولى : اتهام المحدثين بالكذب :

لقد أخطأ المستشرقون فى زعمهم هذا بناء على أن المحدثين قد درسوا الرواة كلهم وبينوا الضعيف من القوى والثقة من المجروح، وألفوا في ذلك الكتب التى توضح ذلك وأفردوا لهم علما يسمى " بعلم الرجال "، أو ربما أخطأ المستشرقون بعدم تفريقهم بين الثقات والضعفاء، فجعلوا الحكم عاما لأنهم يصدرون أحكامهم بلا قيد، ولا برهان، وهذا ما جعلهم يقعون فى شيء لا يوافق الحقيقة ، وها هم علماء النقد يوضحون لنا أنهم لا يأخذون العلم إلا من الثقات الذين لا يدخل إليهم شيء من الجرح، فمن ذلك مارواه الإمام مالك بن أنس حيث قال : " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين عمن يحدث قال فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أخذت عنهم شيئا وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت المال لكان أمينا، إنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحمه على بابه " كما روى مثله أبو الزناد ".(١)

ويقول الأعمش : كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد واوا أو ألفا أو دالا ".(٢)

ويروى الرامهرمزى بسنده إلى طلحة بن عبد الملك قال : أتيت القاسم وسألته عن أشياء فقلت: أكتبها ؟ قال : نعم . فقال لابنه: انظر فى كتابه لا يزيد على شيئا فقلت : يا أبا محمد إنى لو أردت أن أكذب لم آتك قال: إنى لم أرد إنما أردت إن أسقطت شيئا يعدله لك ".(٣)

---

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر (١/ ٦٧) والكفاية (ص ١٥٩) .
(٢) انظر الكفاية (ص ١٧٨) .
(٣) انظر المحدث الفاصل (ص ١٢٨) .

ومن هنا نرى دقة المحدثين فى الرواية وبحثهم عن الرواة لكى يفرقوا بين الثقات الضعفاء حيث لم يكتفوا باتصاف الراوى بالعدالة والضبط، بل لاحظوا معها كيفية تلقيه للحديث ثم كيفية أدائه وما يكون عليه حاوله حتى يظهروا الكذاب من غيره، وقد قيل لابن المبارك هذه الأحاديث المصنوعة ؟ قال : يعيش لها الجهابذة ." إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ". (١)

يقول أبو حاتم البستى : " ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر فى هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر فى سائر الأمم، وذلك أنه لم يكن أمة لنبى حفظت عليه الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة حتى لا يتهيأ أن يزاد فى سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفا أو واوا ". (٢)

إضافة إلى هذه الآثار فإن النقاد قد فضحوا الرواة على رؤوس الأشهاد كما فعل شعبة مع أحدهم فى داخل مسجد ". (٣)

وتعيينهم يوما لاغتياب الناس حتى بينوا الكذاب من غيره . (٤)

إذاً فإن المستشرقين قد تحاملوا على النقاد ونبذوا إليهم هذا الزعم دون أن يستدلوا عليه، متجاهلين فى ذلك جهود العلماء فى تتبع الكذابين والبحث عنهم، فهذا الإمام الشافعى يقول : " لولا شعبة ماعرف الحديث بالعراق كان يجئ إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان ". (٥)

كما أن الإمام الثورى كان شديدا على الكذابين، يقول ابن عيينه

---

(١) انظر الكفاية (ص ٣١) وتدريب الراوى (ص ١٨٤) .

(٢) انظر المجروحين (١ / ٢٥) .

(٣) انظر موقف التابعين فى (ص) .

(٤) الجامع لأخلاق الراوى (ص ١٤٩) .

(٥) انظر الكامل (١ / ٢) .

:" ما رأيت رجلا أصفق وجها فى ذات الله من سفيان الثورى رحمه الله ".(١)

وكان بعض المحدثين لا يتحملون كذب هؤلاء فيضربونهم ويهددونهم كما روى مسلم عن حمزة الزيات قال : " سمع مرة الهمدانى بن الحارث الأعور شيئا فقال له: اقعد بالباب،قال فدخل مرة وأخذ سيفه قال وأحس الحارث بالشر فذهب ".(٢)

فهذه بعض مواقف المحدثين تجاه الكذابين،والتى ترد زعم المستشرقين باتهام المحدثين بالكذب،حيث لم يفرقوا بين الثقات الضعفاء فيعطوا لكل شخص حقه .

يقول محمد محمد أبو زهو : " ومن هذا كله يظهر لك جليا ما كان عليه أئمة الحديث فى هذا العصر من بصيرة نقاده ومعرفة تامة بالسنة ومتونها وأسانيدها،فتراهم غربلوا الرواة وأقصوا كثيرا منهم عن حظيرة السنة والتمتع بشرف روايتها ، كما ميزوا الأحاديث،فحديث علموا صحته وعملوا به،وحديث علموا كذبه فتركوه،وحديث تبين لهم ضعيفة فلم يعتمدوا عليه وحده،وحديث اشتبه أمره فتوقفوا فيه حتى يظهر حاله وينكشف أمره ، تراهم يأمرون بحمل جميع ما يسمعونه لينتقوا منه الصحيح حتى أصبحوا بحق صيارفة الحديث ونقاد الأسانيد ".(٣)

ويقول د / نور الدين عتر : " ولقد جانب التوفيق بعض المستشرقين حيث زعم أن المحدثين اكتفوا بمجرد توال فترات الزمن للرواة فى حكمهم باتصال السند،وهذه أبحاث التدليس والإرسال الخفى تقيم الحجج والبراهين

---

(١) انظر الكامل (١/ ٢) .
(٢) انظر الحديث والمحدثون (ص ٢٧٠) .
(٣) انظر منهج النقد فى علوم الحديث (ص ٣٩٢) .

القاطعة على أن المحدثين لم يفتروا أبدا بعامل اتصال الزمن لحياة الرواة بل جعلوا العمدة اتصال السند أمرا أدق من ذلك،وهو تحقق اللقاء والسماع وثبوت المجالسة ". (١)

فهذه الآثار والأقوال الواردة عن علماء الحديث ونقاده كفيلة برد شبهات المستشرقين الواردة حول نقاد الحديث الذين أوقفوا أنفسهم لخدمة السنة النبوية وشهد لهم بذلك معاصروهم وخلفهم،فلو ثبت من أحدهم أى انحراف لأخبر عنه،لأنهم عدول هذه الأمة بعد صحابة محمد صلى الله عليه وسلم .

الشبهة الثانية : تجريح البخارى وكتابه :

لا نسلم للمستشرقين بهذا الزعم بناء على أن البخارى إمام من أئمة الحديث الذين نقدوا الرواة والذين حاولوا تنقية الحديث الصحيح من الضعيف،وأخرج لنا كتابا مختصرا من أحاديث رسول الله صلى اللهعليهوسلم والتى لا يدخلها الشك،وذلك لتشدده فى الشروط حيث أوجب اللقيا والسماع، إضافة إلى أنه دقق فى البحث عن الحديث وتشدد فيه سندا ومتنا،وهذه الأمور تدلنا على عظم المنهج الذى اتبعه الإمام البخارى فى كتاب جامعه " وقد تلقت الأمة كتابه بالقبول واعتبرته أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى". (٢)

إضافة إلى أن صاحبه قد شهدت الأمة على جلالة قدره فى الحديث،وممن شهد بذلك بعض نقاد الحديث كابن المدينى وابن حنبل وابن معين وعلى صحة كتابه " . (٣)

---

(١) انظر منهج النقد فى علوم الحديث (ص ٣٩٣).

(٢) انظر تدريب الراوى (١/ ٩١).

(٣) انظر هدى السارى مقدمة فتح البارى (ص ٤٧٩).

وقد اقتدى به أصحاب الكتب الخمسة فى تأليفهم لكتبهم كما ظهر ذلك فى العصور اللاحقة بعده .

كما أننا لو نظرنا إلى أسانيد الإمام البخارى وغيره لرأينا قطعا أن أسانيده أكمل وأجل،وذلك بناء على ثلاثة أمور :

١ ــ ثقة رواتها .
٢ ــ اتصال الأسانيد وعلوها .
٣ ــ سلامتها من العلل القادحة .(١)

يقول الحاكم:" محمد بن إسماعيل إمام،فإنه الذى ألف الأصول وبين للناس،وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه ".(٢)

لذا فإن المستشرقين يتهمون الإمام البخارى فإن أسانيده غير موثوق بها ،فهم بهذا الزعم يريدون إسقاط البخارى من منزلته العالية، لأنهم يعرفون جيدا أن إسقاطه يؤدى ذلك إلى تشكيك المسلمين فى كتابه والأحاديث الواردة فيه،ثم يتعدى ذلك إلى منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم إلى الدين كله .

إذًا فمزاعم المستشرقين غير صحيحة،لأنها قائمة على تخيلاتهم الخاصة التى يحاولون من خلالها المماس من عدولنا ليصلوا بذلك إلى الأحاديث النبوية ويشككون فيها،لكن الله قد حفظ لنا هذا الدين على أيدى أناس ضحوا بأرواحهم فى سبيل ذلك،ومنهم الإمام البخارى الذى لا ينقطع ذكره إلى يوم القيامة حيث إن كتابه يتدارسه أجيال العلماء والطلاب،وهذه مفخرة للإمام البخارى رضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) انظر توجيه النظر (ص ١٢٢) وشروط الأئمة الخمسة (ص ٦٣) ، وما بعدها .

(٢) انظر هدى السارى (ص ٤٧٩) .

<u>الشبهة الثالثة</u> : اتهام المحدثين بعدم التفريق بين الإسناد الصحيح والضعيف :

هذا الزعم باطل،لأن المحدثين قد اهتموا بالإسناد اهتماما بالغا،وقد ظهر لنا اهتمامه فيما سبق ذكره حول الإسناد في عصر الصحابة والإسناد في عصر التابعين،ومن ثم أنشأوا مصطلح الحديث القائم على تقسيم الحديث إلى إسناد صحيح وحسن وضعيف،ووضعوا شروطا لكل قسم يمكن من خلالها قبول الحديث وسنده أوردهما ،كما أنهم ميزوا بين الأسانيد الصحيحة وأصح الأسانيد . (١)

كما قاموا بدراسة للرواة لكي يعرفوا قوة السند من ضعفه يقول د / أكرم ضياء العمري : " وقد اهتم العلماء بالتعريف بهؤلاء الرجال فشخصوهم بضبط أسمائهم وكناهم وألقابهم وأنسابهم لآبائهم وأمهاتهم وذكر بعض شيوخهم وطلابهم وتسجيل رحلاتهم في البلدان ولقائهم مع علمائهم وبيان أحوالهم وأخلاقهم مما له أهمية في توثيقهم وتضعيفهم " . (٢)

ولو كان المحدثون لا يفرقون بين الإسناد الصحيح والضعيف،فلماذا يضعون تلك الشروط ؟ ولماذا يؤلفون تلك الكتب في الجرح والتعديل وفي تصحيح الحديث وتضعيفه ؟

ومن هنا يظهر لنا منهج المحدثين حول الإسناد ورجاله واهتمامهم به خلافا لما يدعيه بعض المستشرقين ضمنا بأن منهج المحدثين حول الحديث قائم على الهوى وعدم المصداقية،ولكن هذا من باب المجازفة لأن منهج المحدثين قد أثر على المؤرخين وأهل الأدب الذين أصبحوا ينقلون الأخبار التاريخية بالإسناد،وبالنظر إلى بعض الكتب التاريخية ترى أن ذلك المنهج مطبقا . (٣)

---

(١) انظر كتب المصطلح .

(٢) انظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة (ص ٥٩) .

(٣) كتب السيرة والطبقات لابن سعد ، تاريخ خليفه بن الخياط وغيرها

الشبهة الرابعة : نقد المستشرقين لمنهج المحدثين ووصفه بالضعف استنباطا :

لنا أن نتساءل عن أسباب هذا الضعف المدعى فى منهج المحدثين ما هو ؟ ثم نعرض كل ما يمكن أن يدعى على منهجهم ، والثابت من منهج المحدثين يقر أو ينفي، والواقع أنه لم يثبت عوار على منهج المحدثين فى نقد الروايات فى أى دراسة علمية نعلمها ، ولقد تثبت المحدثون فى رواية الحديث إلى أقصى ما يستطيعه الإنسان فى هذا الباب . متخذين قاعدة " من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " (١) .

كما أن لهم ميزانا يزنون به الرواة ومن ثم يقبلون الرواية أو يردونها، بخلاف منهج المستشرقين القائم على عدم الموضوعية والحيادة فى كثير من الأحيان، وبالرجوع إلى كتب المحدثين نرى الدقة فى التحرى بأنواعها المختلفة سواء بالسؤال عن الإسناد أو الرحلة فى طلبه أو تتبع الرواية من بدايتها حتى نهايتها أو تجريح بعض الناس لكي يحفظوا الحديث من كيد المتآمرين عليه من أهل الأهواء وغيرهم .

فهل يحق لعاقل أن يصف هذا المنهج بالضعف وعدم الموضوعية والحيادة، وحاشا أن يكون كذلك، وكأنهم لم يطلعوا على بعض جهود المحدثين ليعرفوا بذلك المسلك الذى صاروا عليه فى أخذ الحديث أو رده .

ولكن بالنظر إلى جهود المحدثين نرى الدقة فى أخذ الأخبار أو ردها، كيف يحكمون على الحديث أو السند بالقبول أو بالضعف بناء على عرضها على القواعد والشروط التى وصفوها ليس لمجرد الهوى والميل النفسي وهكذا كان هذا المنهج متبعا عند سائر العلماء .

---

(١) انظر مقدمة الإمام مسلم (١ / ٨٠) .

الفصل الثـــانى

المبحـــث الثـــانى

نقد شبهة المستشرقين المتعلقة بالجزءالأعلىمن الإســــناد

المبحث الثانى
نقد شبهة المستشرقين المتعلقة بالجزء الأعلى من الإسناد

ذكرت فيما سبق شبهات المستشرقين تجاه السند من حيث نشأته، وفي هذا المبحث سأذكر بعض شبهاتهم المتعلقة بالجزء الأعلى من الإسناد ثم أتبعها بمناقشتها :

١ — يقول شبرنجر :
" إن أسانيد عروة بن الزبير (ت ٩٢) مختلفة ألصقها به المصنفون المتأخرون ". (١)

٢ — يقول شاخت :
" ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت إلى كمالها فى النصف الثانى من القرن الثالث،وكانت الأسانيد كثيرا لا تجد أقل اعتناء ، وأتى حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات وضعها فى الإسناد ". (٢)

٣ — يقول روبسون :
" إن المنهج الذى سكله شاخت فى دراسة الأسانيد يعطينا المدلول الدقيق لتلك الأسانيد،وهو أن الجزء الأسفل من الأسانيد صحيح بينما الجزء الأعلى الموصل إلى النبى صلى الله عليه وسلم خيالى وزائف ". (٣)

---

(١) Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.19.
ترجمة صلاح المصرى .

(٢) وانظر لذلك مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية (٨٣/١)
Schacht, The Origins, p. 163.

(٣) نقلا من دراسات فى الحديث النبوى لمحمد الأعظمى (ص ٤١٦)
Robson,J.: Muslim Tradition, p.98.

خلاصة شبهات المستشرقين المتعلقة بالجزء الأعلى :

بعد أن تحدثت فى الفصل الأول عن بعض شبهات المستشرقين حول نشأة الإسناد، فسأتحدث فى هذا المبحث عن بعض شبهات المستشرقين المتعلقة بالجزء الأعلى من الإسناد والذى أستخلص من شبهاتهم المزاعم التالية :

١ ـ اتهام المحدثين باختلاق الجزء الأعلى للإسناد . (١)

٢ ـ أن المحدثين يختارون الشخصيات فى السند حسب ماتميل إليه أهواؤهم . (٢)

٣ ـ دعوى المستشرقين بصحة الجزء الأسفل دون الأعلى للإسناد . (٣)

مناقشة الشبهات :

الشبهة الأولى : (اتهام المحدثين باختلاق الجزء الأعلى من الإسناد) :

هذا الزعم خطأ ولا نسلم به بناء على أن علماء الحديث ونقاده قد بذلوا جهودهم فى العناية بالإسناد كله منذ عصر الصحابة حتى عصر التابعين وأتباعهم فمن بعدهم، وقد نهج الخالف منهم منهج السلف وترسموا خطاهم وطبعوا المنهج الذى ساروا عليه بحذافيره، إضافة إلى أنهم قعدوا القواعد ووضعوا الشروط بسبب انتشار الوضع فى عصرهم .

---

(١) Robson, J.: The Isnad in Muslim Tradition, p.19.

(٢) وانظر كذلك مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية (١/ ٦٣)
Schacht, J.: The Origins, p.163.

(٣) انظر دراسات فى الحديث النبوى لمحمد الأعظمى (ص ٤١٦) .
نقلا من Robson, J.: Muslim Tradition, p. 98.

والذى يدل على أن المحدثين اهتموا بالإسناد وفتشوا عنه بتتبع الرواة من بدايته حتى نهايته لكى لايدخل فى الإسناد من ليس منه هذه الأقوال الواردة على لسانهم.

* فهذا الشعبى يبحث عن إسناد الحديث الذى رواه الربيع بن خثيم قال : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... " الخ

قال الشعبى ، فقلت للربيع بن خثيم: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال عمرو بن ميمون الأزدى ، فلقيت عمرو به ميمون فقلت من حدثك بهذا ؟ فقال عبدالرحمن بن أبى ليلى ، فلقيت ابن أبى ليلى ، فقلت من حدثك ؟ قال أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

* وقال أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى الطالقانى قلت لعبدالله بن المبارك: يا أبا عبدالرحمن الحديث الذى جاء إن من البر بعد البر أن تصلى لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك . فقال عبدالله يا أبا إسحاق عمن هذا ؟ قلت له هذا حديث شهاب بن خراش فقال: ثقة . عمن ؟ قلت : عن الحجاج بن دينار قال: ثقة . عمن ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال يا أبا إسحاق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبى صلى الله عليه وسلم مفاور ينقطع فيها أعناق المطى ولكن ليس فى الصدقة اختلاف" (٢).

* ويقول أبو العالية : كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رضينا حتى رحلنا إليهم فسمعناها من أفواههم" (٣).

---

(١) انظر المحدث الفاصل (ص ٢٥).

(٢) انظر مقدمة الإمام مسلم (١ / ٨٨ — ٨٩).

(٣) انظر المحدث الفاصل(ص ٢٠).

فهذه الآثار وغيرها الصادرة عن نقاد الحديث تدل على تتبعهم للإسناد والتفتيش عنه حتى نهايته، ومن ثم يقبلون الرواية إذا وافقت القواعد والشروط التي وضعوها في منهجهم خلافا لما ادعاه المستشرقون عليهم باختلاقهم الأسانيد اتباعا لأهوائهم.

يقول محمد عجاج الخطيب: " ولم يكن التابعون وأتباعهم أقل اهتماما من الصحابة بالاحتياط لقبول الحديث وكانوا يتثبتون من الراوي بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم ، وإن من يتتبع تاريخ الرواة وكيفية تحملهم الحديث الشريف ليدرك تماما جهود التابعين وأتباعهم تلك الجهود التي بذلوها لنقل السنة إلى خلفهم ". (١)

ويظهر كذلك من التزام التابعين بالإسناد وتتبعهم له ما روى عن بعضهم من المراسيل حيث إن هناك روايات تؤكد أن التابعي كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد، ومن هذا ما رواه ابن عبد البر بإسناده إلى الإمام مالك بن أنس أنه قال : "كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد ابن المنكدر فيقول الزهري قال ابن عمر كذا وكذا فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال ابنه سالم ". (٢)

كما أن العلماء كانوا يسألون الإسناد من شيوخهم حتى يعرفوا الرجال لكي لا يدخل في الإسناد من ليس من رجاله، كما روي عن ابن معين أنه كان ينقل صحيفة في صنعاء عن رجل ضعيف فلما سئل قال لكي لا يضع أباك بدلا من ثابت لأن الأول ضعيف والثاني ثقة ". (٣)

---

(١) السنة قبل التدوين (ص ١٢٤).

(٢) مقدمة التمهيد لابن عبد البر (ص ١٠).

(٣) انظر الجامع لأخلاق الراوي (ص ١٥٧).

ويقول ابن حبان : " ثم أخذ عن هؤلاء مسلك الحديث وانتقاء الرجال وحفظ السنن والقدح في الضعفاء جماعة من أئمة المسلمين والفقهاء في الدين ". (١)

إذًا هذه جهود بعض النقاد الذين عاشوا في العصر الذي اتهمهم المستشرقون فيه باختلاق الجزء الأعلى، مع أن المستشرقين لم يصرحوا بالذين كانوا يضعون اتباعا لأهوائهم، وإنما أشاروا إلى ذلك إجمالا حيث دخل في هذا الزعم الثقات . والضعفاء، فلا تقبل هذا الزعم إلا بدليل وبرهان . إضافة إلى ما سبق فإن الإسناد قد أخذ حظه الكبير من قبل العلماء والعامة في عصر التابعين وقد اعتبر الزهري إغفال الإسناد جرأة على الله تعالى .

وقد روى ابن أبي حكيم عن الزهري : "أنه كان عند إسحاق بن أبي فروة وعنده الزهري قال : فجعل ابن أبي فروة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الزهري : قاتلك الله يابن أبي فروة ما أجرأك على الله لا تسند حديثك ؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة" (٢)

وروى الخطيب بسنده إلى الأصمعي قال حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابي فقال كيف أصبح الشيخ يرحمه الله ؟ قال سفيان بخير والحمد لله قال ماتقول في امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ... الخ ثم قال له : هل من بلاغ قال نعم . حدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك . قال الأعرابي لقد استسننت القدوة وأحسنت البلاغ والله لك بالرشاد ". (٣)

---

(١) انظر المجروحين (١ / ١٣) .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث (ص ٦) .

(٣) انظر الكفاية (ص ٥٧٠) .

فكل هذه الآثار أيضا تدل أن المحدثين لم يكونوا يختلقون الإسناد كما يزعمون ، بل كانوا يطلبون من الراوى أن يسند لهم الحديث الذى يرويه لكى يعرفوا صحته من خطئه .

الشبهة الثانية : (يقولون بأن المحدثين يختارون الشخصيات فى السند حسب ما تميل إليه أهواؤهم) .

هذا الزعم كسابقه،لأنه لا يستند إلى دليل وبرهان،ولكن بالنظر إلى منهج المحدثين يتبين لنا أنهم وضعوا شروطا يمكن من خلالها قبول ذلك السند أوعدم قبوله ، لأن الراوى يعرض على تلك الشروط والتى من أهمها العدالة والضبط وما يتبعها من شروط فرعية ، فإذا كان ثقة قبلت روايته وإذا انخرم شروط من الشروط ردت روايته .

وهذه بعض الآثار الواردة عن نقاد الحديث تبعد هذه التهمة التى ادعاها بعض المستشرقين والتى تصور لنا أنهم كانوا حراس الحديث فى الأرض .كما أن الملائكة حراس السماء ، فمنها :

عن حماد بن زيد قال جاءنى أبان بن أبى عياش فقال: أحب أن تكلم شعبة أن يكف عنى، قال فكلمته فكف عنه أياما فأتانى فى بعض الليل فقال إنك سألتنى أن أكف عن أبان وأنه لا يحل الكف عنه فإنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ".(١)

وقيل لشعبة بن الحجاج متى يترك حديث الرجل ؟ قال إذاروى من المعروفين مالا يعرفه المعروفون ".(٢)

وقال علي بن المدينى لمن سأله عن أبيه " سلوا عنه غيرى فأعادوا المسألة فأطرق ثم رفع رأسه فقال هو الدين أنه ضعيف ".(٣)

(١) انظر المجروحين (١/ ٢١) .
(٢) انظر الكفاية (ص ١٤٣ — ١٤٤) .
(٣) انظر الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٦) .

فبالنظر إلى هذه الآثار التى رواها النقاد حول الرواة تدلنا على أنهم لا يتبعون أهواءهم كما يدعى بعض المستشرقين،لأن هذا دين فكان بعضهم يجرح أباه أو أخاه أو أقرب الناس إليه،فهل بعد هذا العمل أعظم من أن يجرح العالم أباه أو غيره ؟ كلا .

إن موقف النقاد من الإسناد واضح لا غموض فيه ولا لبس،واهتمامهم به من كل جوانبه حتى أنهم تعرفوا على حال الراوى فى الظاهر والباطن

يقول الشعبى : " والله لو أصبت تسعا وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدوا على تلك الواحدة ".(١)

يقول أبو حاتم عن هؤلاء العلماء : " فهؤلاء أئمة المسلمين وأهل الورع فى الدين أباحوا القدح فى المحدثين وبينوا الضعفاء والمتروكين وأخبروا أن السكوت عنهم ليس مما يحل ".(٢)

إذاً فهذه الآثار والأقوال عن نقاد الحديث وعلمائه التى تخالف ما زعمه هؤلاء المستشرقون بأنهم يختارون الشخصيات اتباعا لأهوائهم بل هى ترد عليهم وتبين موقفهم من الإسناد و احتياطهم حوله دون اختيار من عند أنفسهم فلو كان الراوى يختار شخصية فى سنده لاختار أقرب الناس إليه أباه أو أخاه أو غير ذلك،ولكن كما روى عن بعضهم أنه قال : " إن هذا العلم هو لحمك ودمك،وعنه تسأل يوم القيامة فانظر عمن تأخذ ".(٣)

على أنه لا اختيار للمرء فى شخصيات السند ، لأنه إنما يرويه كما تلقاه ، ولو بدل راويا مكان آخر لكان كذابا وضاعا ساقط الرواية عند المحدثين ".

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ (١ / ٧٧) .
(٢) انظر المجروحين (١ / ٢١) .
(٣) انظر المحدث الفاصل (ص ٥١٦) .

الشبهة الثالثة : (دعوى المستشرقين بصحة الجزء الأسفل دون الأعلى من الإسناد) :

هذا الزعم خطأ أيضا، ويمكن أن يكون الرد السابق للشبهتين ردا على هذه الشبهة إضافة إلى أن المحدثين لم يقسموا الإسناد إلى جزء أعلى وجزء أسفل، [(١)] بل بحثوا في السند كله من بدايته حتى نهايته ، فلو حدث طارئ داخل السند ، سواء كان ذلك في أوله أو وسطه أو آخره ـ حكموا عليه بالضعف أو بالوضع دون النظر إلى الجزء الأعلى والأسفل ، إضافة إلى هذا فإن مصطلح الحديث قد وضح لنا التقسيمات التي وضعها علماء الحديث للإسناد دون النظر إلى تجزئته، بل نظروا إلى الخلل الذي يحدث فيه .

ولكن المستشرقين يريدون من زعمهم هذا تجريح عدولنا لينطلقوا من ذلك إلى تضعيف الأحاديث الواردة عنهم، بناء على اعتمادهم على حديث أو حديثين من كتب الفقه دون الرجوع إلى الكتب المتخصصة في هذا المنوال، ولأن الفقه لم يكن ميدانا للإسناد والمتن بل هو ميدان لاستنباط الأحكام الفقهية دون غيرها، وقد رد هذه الشبهة الدكتور محمد الأعظمي فأكتفي بالإحالة إليه ". [(٢)]

إضافة إلى أن المستشرقين يتناقضون في مزاعمهم، فمرة يقولون بأن الإسناد نشأ متأخرا ". [(٣)]

ويقولون بأن الجزء الأسفل أصح من الجزء الأعلى .

ويقولون بأن الإسناد مختلق .

---

(١) وهناك فرق بين الإسناد العالي والإسناد النازل عند علماء الحديث فلا يدخل في هذا المسمى .

(٢) انظر دراسات في الحديث النبوي (ص ٤١٧) وما بعدها .

(٣) انظر الفصل الأول / المبحث الثاني .

فهذا التناقض يظهر أن هؤلاء لا يقومون في هذا على منهج علمي يقوم على الحجة والبرهان، بل يقوم على التشويه والتحريف، وهذا ما ظهر لي من بعض مزاعمهم .

ولكن مع هذا فإن الإسناد يكون صحيحا أو ضعيفا بناء على عرضه على القواعد والشروط من بدايته حتى نهايته، وهذا ما يظهر في تعريف الصحيح الذي عرفه به الإمام ابن كثير يقول : " فهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معلولا ".(١)

فلم يفرق العلماء بين الجزء الأعلى والجزء الأسفل بل وضعوا هذه الشروط للسند كله .

يقول محمد عجاج الخطيب : " وهكذا بين جهابذة هذا العلم منذ صدر الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف أحوال الرواة المقبول منهم والمتروك وتكامل علم الجرح والتعديل وألفت مصنفات ضخمة في الرواة وأقوال النقاد فيهم حتى أنه لم يعد يختلط الكذابون والضعفاء بالعدول والثقات كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة بالضعفاء والمتروكين وأصبح من السهل جدا على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب في كل عصر وقد بنى النقاد حكمهم في الرواة على قواعد دقيقة ".(٢)

---

(١) انظر الباعث الحثيث (ص ٢١) .

(٢) انظر السنة قبل التدوين (ص ٢٣٧ — ٢٣٨) .

الفصل الثانى

المبحث الثالث

دعوى المستشرقين اعتباطية الأسانيد ومناقشتهم

المبحث الثالث

دعوى المستشرقين فى اعتباطية الأسانيد ومناقشتهم

يقول كاتيانى :

" إن الجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة فى كتب السنة قد اختلقها المحدثون فى القرن الثانى بل وفى القرن الثالث أيضا ". (١)

يقول شاخت :

"إن الإسناد جزء اعتباطى فى الأحاديث وإنها تمت وتطورت مع يد الأحزاب التى كانت تريد أن تنسب نظرياتها إلى أشخاص مرموقين من القدماء ".

ويقول حول موطأ مالك " إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطى ". (٢)

يقول لامانس (٣) :

أدرك المسلمون أنفسهم فى وقت مبكر بأن كثيرا من الأحاديث مكذوبة،ولذلك طوروا علما كاملا لنقد وتمييز الأحاديث الصحيحة من المزيفة بخداع دينى أو غير دينى،وقد كان نقد الحديث مقتصرا على فحص السند برفض بعض الرواة بسبب اتهامهم بدعوى التعصب فى وجهة نظرهم أو بسبب عدم إمكانية تلقيهم المعلومات التى يدعونها .

(١) انظر حوليات الإسلام لكايتاني باللغة التركية ترجم الشبهة د /أحمد سعاد (٨/ ٨٥) .

(٢) وانظر كذلك دراسات في الحديث النبوى (ص ٤٥٢)
Schacht, J.: The Origins, p.163.

(٣) هنرى لامنس اليسوعى (١٨٧٢–١٩٣٧)

مستشرق فرنسى ، من محررى دائرة المعارف الإسلامية ، شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه ، مفرط فى عدائه وافتراءاته . من آثاره : " الإسلام " و " الطائف " .

انظر : الاستشراق والمستشرقون (ص ٣٧ — ٣٨) .

ثم يقول " ... ومن السهل تزييف سند الحديث كما يمكن تزييف متنه أو رفض أحد الرواة لأنه يمثل وجهة نظرته بعد انتصار لرأى معين أو اتخاذ معيار وللحكم على الآخرين ". (١)

يقول تشار لزجى :

" إن مصطلح الإسناد نفسه يعتبر مضللا نظرا لأنه يركز بصورة كبيرة على النقل الشفوى بالإضافة إلى المصطلحات الأخرى للإسناد مثل عنعنة أخبر ، ذكر ، زعم ". (٢)

يقول فيحيل (٣) :

" اتخذت قصة المعراج فى خلال قرنين من الزمان صورا متعددة وزودت كل رواية منها بأسانيد تضفى عليها صفة الصحة الشرعية حتى لقد استغل البعض قرابات النبى صلى الله عليه وسلم لتحقيق أغراضهم ". (٤)

يقول مرجوليوت (٥) :

" إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك أمرا ولا حكما ماعدا القرآن .

---

(١) Bernard Lewis : The Arabs in History, p.38.

(٢) انظر حجية الأحاديث ، مقالة من مكتبة جون ريلاند ، ترجمة أسامة

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) الإسلام فى الكوميديا الإلهية لفيجيل آس (ص ٤٩) .

(٥) مرجوليوت ، د . س (١٨٥٨—١٩٤٠) (Margoliouth)

ولد وتوفى فى لندن ، وقد تخرج باللغات الشرقية فى جامعة أكسفورد وأتقن العربية وكتب فيها وأقام أستاذا لها فى جامعة أكسفورد منذ سنة ١٨٨٩ فعد من أشهر أساتذتها ، وانتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى فى دمشق ، والمجمع اللغوى البريطانى ، والجمعية الشرقية الألمانية وغيرها .

من آثاره : العلاقة بين العرب واليهود ، والقرآن ، والحديث

انظر : المستشرقون (٢ / ٧٧ — ٧٩) .

أما الحديث جاء من الأحيان بعد القرن الأول ليعطى مستندا قياسيا لسنتهم العملية ".[١]

يقول م.م. دورى[٢] فىكتابه تاريخ الإسلام

" كان معظم أسانيد الموطأ لا ترجع إلى فترة النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض الأحيان كان يبدو مقتنعا أن يعطى رأيه الخاص ولهذا فإنه يفترض أن الضرورة من أجل متابعة إسناد كامل يعود إلى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتحقق حتى منتصف القرن الثانى الهجرى".[٣]

ويقول كولسون :

" والاتجاه الثانى للفترة الباكرة فى النظر الفقهى إنما يتمثل فى التأكيد المتزايد على مفهوم السنة والآثار الثابتة فلتعزيز فكرة اتباع المأثور صيغ الرأى الفقهى فى شكل بجذوره إلى الماضى فنسبت إلى الأجيال السابقة أصول ما دار على ألسنة فقهاء هذه الفترة من آراء . نعم لقد كانت هذه الأصول المأثورة ترد فى البداية عقلا عن أسانيدها ولكن سرعان ما ألحقت الرسوم والاعتبارات الفنية بالرأى الفقهى أسماء محدودة من بين تلك الشخصيات السابقة المشهود لها بالفضل والتقى، وبهذا أمكن رد الآراء الفقهية المتأخرة إلى الأجيال الأولى للمسلمين عبر حلقات من الرواة .

فعمر على سبيل المثال كثيرا ما يرد باعتباره المؤسس لسنة المدينة على حين احتل ابن مسعود مكانة مشابهة فى الكوفة وقد وصل الأمر بطبيعته

---

(١) Margoliouth, P.S.: The Early Development of Mohammedanism,

(٢) لم أقف على ترجمته .

(٣) مقالة حول تاريخ الإسلام لـ م.م. دورى ترجمة أسامة .

فى النهاية إلى نسبة الرأى الفقهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه، وبرغم أن هناك قدرا معينا من هذه الآثار يرجع حقيقة إلى الأيام الأولى للإسلام تلك التى حفظتها الرواية الشفهية فى التطبيق التشريعى أيام الأمويين، فإن القدر الأكبر من هذه الروايات كان خاطئا فى نسبته التاريخية، لقد جدت المطامح التشريعية والسياسية فى استعادة النقاء الأول الذى كان عليه الإسلام فترة المدينة واعضال الفترة الأموية ووضع النظر الفقهى فى صيغة تمتد جذورها لأيام الإسلام الأولى وضع الفقهاء صلة تحقق معنى الاستمرار بين عصرهم وعصر الخلفاء الراشدين ".(١)

ويقول شاخت :

"إن الأسانيد المتصلة متأخرة وضعها أصحاب المذاهب الفقهية رغبة فى إرجاع آرائهم إلى الصحابة، واستشهد شاخت بأسانيد مرسلة ومنقطعة فى موطأ مالك والرسالة للشافعى ".(٢)

خلاصة شبهات المستشرقين السابق ذكرها :

١ ــ دعوى المستشرقين اعتباطية(٣) الأسانيد .(٤)

٢ ــ اتهام شاخت لمالك باستعماله الأسانيد المختلقة .(٥)

---

(١) فى تاريخ التشريع الإسلامى ل ــ ن.ج. كولسن ترجمة د/ محمد أحمد سراج .

(٢) السنة مع المستشرقين لأنور الجندى (ص ١٧) .

(٣) معنى اعتباطية " اختلاق " .
انظر القاموس المحيط مادة عبط .

(٤) حوليات الإسلام لكاتيانى (١ / ٨٥) وتاريخ التشريع الإسلامى لكولسون وتاريخ الإسلام لـ م.م. دورى .

(٥) Schacht, J.: The Origins, p. 163-167.
وتاريخ الإسلام م.م. دورى (مقالة) .

٣ ـ ادعاؤهم بأن الرواة يركبون الأسانيد الصحيحة على القصص دون النظر إلى صحتها أو عدم.(١)

٤ ـ ادعاؤهم بأن الأسانيد المتصلة مختلقة .(٢)

مناقشة شبهات المستشرقين :

الشبهة الأولى : (دعوى المستشرقين اعتباطية الأسانيد) :

هذه الدعوى لا نسلم بها، لأنها قائمة على المجازفة، لأن الاهتمام بالإسناد بدأ منذ عصر النبوة والصحابة ـ كما سبق ـ، فقد استعملوا ألفاظ الرواية في أقوالهم مثل (سمعت ، رأيت ، أخبرني ، حدثنا ، قال) ثم سلك التابعون هذا المسلك فرحلوا في طلب الإسناد إلى المدينة أو غيرها لأن الصحابي هو المرجع الأول لهم .

ولما فشى الوضع في القرن الثاني رجع أتباع التابعين إلى كبارهم وتثبتوا في الإسناد عنهم لكي لا يدخل فيه ما ليس منه، ثم بينوا الثقات من الضعفاء والأحاديث الصحيحة من الضعيفة وقسموا كلا منهما إلى أقسام، ووضعوا لكل قسم شروطا يقيسون عليها الراوي لقبول روايته أو ردها .

لكن هؤلاء المستشرقين اعتمدوا في إصدار مزاعمهم على بعض الكتب الفقهية وغيرها، كما فعل شاخت وغيره، ومن ثم حكموا على جميع الأسانيد بالاختلاق ، فلو رجع شاخت وغيره إلى تاريخ استعمال الإسناد لوجد استعماله في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، حيث إن مدرسة الحديث قد أسست في تلك الفترة ومن ثم ظهرت مدرسة الفقه بعدها ،

---

(١) الكوميديا الإلهية لفيحيل .

(٢) Schacht, J.: The Origins, p. 163. وما بعدها

إذًا فالمدرسة الفقهية عالة على مدرسة الحديث عكس ما يتصوره شاخت، أما إرجاع شاخت استعمال الحديث وسنده إلى القرن الثاني فهذا خطأ، وسوف أذكر بعضا منها لنتبين خطأ المستشرقين وخلطهم بين الثقات والضعفاء ومن ثم أتبع ذلك ببعض جهد النقاد أمام هؤلاء الزنادقة والشيعة وغيرهما .

وحيث إن بعض المستشرقين ذكروا بعض المساوئ التي تمس السنة وسندها تاركين جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم في الحديث وسنده ومستنده خلف ظهورهم واضعين أحكامهم العقلية في أذهانهم يقذفونها أنى شاؤوا .

نعم لقد استعمل بعض الفرق الأسانيد المختلقة في القرن الثاني وقاومها علماء الحديث ونقاده، ويدل على صنيعهم هذا ما رواه السيوطي عن شيخ خارجي أنه قال " إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم إنا كنا إذا هدينا أمرا صيرناه حديثا ".(١)

كما أن بعض القصاصين كانوا يضعون أحاديث ويختارون لها أسانيد مقبولة عند العامة ليتكسبوا عليها،ويدل على ذلك ما رواه ابن الجوزي بإسناده إلى أبي جعفر الطيالسي قال : " صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قال حدثنا عبد الرزاق عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طير . . . " الحديث المكذوب .

---

(١) انظر اللآلي المصنوعة (١/ ٢٤٨) .

فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين،وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد،فقال له حدثته بهذا فيقول والله ما سمعت هذا إلا الساعة، فلما فرغ من قصته وأخذ العطيات ، ثم قعد ينظر بقيتها قال له يحيى بن معين بيده:تعال فجاءه متوهما لنوال، فقال له يحيى من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . فقال أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققت هذا إلا الساعة كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فوضع أحمد كمه على وجهه وقال دعه يقول فقام كالمستهزئ بهما ". (١)

ويقول أبو حاتم : " دخلت مسجدا فقام بعد الصلاة شاب فقال حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس وذكر حديثا ".

قال أبو حاتم فلما فرغ دعوته قلت رأيت أبا خليفة ؟ قال : لا قلت : كيف تروى عنه ولم تره ؟ فقال إن المناقشة معنا من قلة المروءة أنا أحفظ هذا الإسناد كلما سمعت حديثا ضممته إلى هذا الإسناد ". (٢)

ثم سار في اختلاق الأسانيد كثير ممن ليسوا من أهله كبعض الزهاد والمتقربين إلى الحكام وغيرهم .

---

(١) انظر توضيح الأفكار (٢ / ٧٦ ، ٧٧) والباعث الحثيث (ص ٩٣ — ٩٤)

(٢) انظر الباعث الحثيث (ص ٩٣) .

فهؤلاء المستشرقون لم يفرقوا بين هؤلاء الوضاعين ورجال الحديث ونقاده بل وضعوا الحكم على الثقة وغيره دون التحقق فى الأمر .

لذا فإن نقاد الحديث قد وقفوا لهؤلاء الكذابين وبينوا زيفهم وكذبهم ، ولم يذكر هؤلاء المستشرقون أو يتذكروا هذه الجهود ، وهذا يدل على أن منهجهم يقوم على المجازفة والبعد عن الحق .

ومما يدل على جهد المحدثين ما أخبرنا به الإمام الشافعى حول حديث " حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج وحدثوا عنى ولا تكذبوا "(١) :"هذا أشد حديث روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه اعتمدنا على ألا نقبل إلا عن ثقة ونعرف صدق من حمل الحديث من حين ابتدى إلى أن يبلغ منتهاه ، لأنه صلى الله عليه وسلم إذا أباح الحديث عن بنى إسرائيل فليس معناه إباحة الكذب عليهم وإنما معناه قبول ذلك عمن حدث به ممن يجهل صدقه وكذبه وليس معناه أيضا إباحة الكذب عليهم بأنه صلى الله عليه وسلم قال : " من حدث بحديث وهو يراه كذبا فهو أحد الكاذبين "(٢) .

فالكذب الذى نهى عنه هو الكذب الخفى، وذلك الحديث عمن لا يعرف صدقه لأن الكذب إذا كان منهيا عنه على كل حال فلا كذب أعظم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه لا يصدق المخبر وكذبه إلا فى الخاص القليل من الحديث"(٣)

كما روى عن يحيى بن معين أنه جاء إلى عفان ليسمع منه كتب

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٢/٣ — ١٣) .

(٢) مقدمة الإمام مسلم (٦٢/١) باب وجوب العمل بخبر الواحد .

(٣) الرسالة (ص ٣٩٩) .

حماد بن سلمة فقال له ما سمعتها من أحد ؟ قال نعم حدثني سبعة عشر نفسا عن حماد بن سلمة . فقال : والله لا حدثتك فقال إنما هو درهم وانحدر إلى البصرة وجاء إلى موسى بن إسماعيل فقال له موسى لم تسمع هذه الكتب من أحد ؟ فقال سمعتها على الوجه من سبعة عشر نفسا وأنت الثامن عشر فقال : وما تصنع بهذا ؟

فقال إن حماد بن سلمة كان يخطئ فأردت أن أميز خطأه من خطأ غيره، فإذا رأيت أن أصحابه قد اجتمعوا على شيء علمت أن الخطأ من حماد نفسه فأميز بين ما أخطأ هو بنفسه وبين ما أخطأ عليه ".(١)

فهذه بعض الجهود التي قاموا بها وضع الأسانيد في الحديث، ويظهر كذلك من قول الإمام مالك عندما يتبع الأخذ من أربع فقال : " لا يؤخذ العلم عن أربعة رجل معلن بالسفه وإن كان أروى الناس، ورجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا أتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، وشيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث ".(٢)

كما أن الرواة كانوا يأخذون الحديث من راو ثم يتفرقون بين الأقطار فينتج من ذلك تعدد طرق الحديث ، وقد مثل الدكتور محمد الأعظمي بأمثلة نكتفي بالإشارة إليها .(٣)

وقال بعد ذلك : "إن الظاهرة العامة في رواة الأحاديث النبوية في القرن الثاني هي وجود رواة منتشرين في كافة أقطار العالم الإسلامي".(٤)

---

(١) انظر المجروحين (١ / ١١) .
(٢) انظر الكفاية (ص ١١٦) والتمهيد (١ / ٦٦) والإلماع (ص ٦٠) الكامل (٣ / ١١) .
(٣) دراسات الحديث للدكتور محمد الأعظمي (ص ٤١٦) .
(٤) المرجع السابق (٤٠٥ — ٤١٤) .

ويقول صاحب التدريب " إنه لا يمكن الاتصال بهؤلاء الرواة الآن نظرا لمضى وقت طويل فيما بيننا وبينهم،كذلك نحن مضطرون إلى الاعتماد على شهادات المعاصرين ومن جاء بعدهم،أما المستوى الذى حدده المحدثون لقبول حديث رجل ما فكان مستوى عاليا جدا فإذا كان الرجل — مثلا — لا يكذب فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم لكنه يكذب فى حياته اليومية أو فى تعامله مع الناس فإنه فى هذه الحالة لا تقبل أحاديثه" (١)

إذًا فبعد أن ذكرنا جهود النقاد أمام الوضاعين ومقاومتهم لكذبهم نرى أن شبهة المستشرقين حول اعتباطية الأسانيد ليس لها أساس من الصحة ، حيث إن النقاد قد فرقوا بين الثقات والضعفاء،ولو كان الأمر كما يزعم المستشرقون لما كان من الضرورى وجود هذه التصانيف للثقات والضعفاء .

وحيث إن بعض المستشرقين بنوا شبهتهم هذه من كتب ليست متخصصة فى الحديث وعلومه،بل أرادوا من وراء ذلك التحريف والتشكيك فيأخذون ما يحققه لهم من أى مصدر كان ، سواء كان من كتب الأدب أو كتب الشيعة أو كتب التاريخ ليفتحوا لهم ثغرة يستطيعون أن يدخلوا على السنة من تلك الثغرة حتى يخلخلوها سندا ومتنا مع تجاهلهم لموقف علماء الحديث ونقاده من هذا الأمر ومتابعتهم للرواة ودراسة حياتهم وتاريخ ولادتهم وموتهم وما خفى من أمرهم،فوثقوا بعضهم وجرحوا البعض الآخر لا يخافون فى الله لومة لائم حتى قال سفيان الثورى:" الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض " . (٢)

---

(١) انظر تدريب الراوى (ص ٢٢٠ — ٢٢١) .

(٢) انظر تنزيه الشريعة (١٦/٣) .

إضافة إلى ما سبق فإن الدكتور/ الأعظمي قد ناقش شاخت حول هذه الجزئية فقال : " نجد فى هذا المجال أن لدى شاخت عدة أخطاء منهجية أهمها أنه انتخب مادة علمية من كتب الفقه والحديث لا تصلح لدراسة الأسانيد، لمن يريد أن يعرف عقائد فرقة ما فعليه أن يرجع إلى الكتب المتخصصة لذلك الغرض أما إذا رجع إلى كتب الأدب والقصص فلن يحصل على بغيته بل يخرج بأفكار مشوشة ".(١)

إذا الأمر الذى لا يتطرق إليه أن المحدثين قد اعتنوا بالأسانيد والمتون على حد سواء عكس الفقهاء فإنهم اهتموا بالمسائل الفقهية والاستنباطات الفقهية ويشيرون إلى الحديث إشارة دون إيراد سنده عكس منهج المحدثين فى البحث عن الإسناد والمتن،" ومن هذا كله يظهر لك جليا ما كان عليه أئمة الحديث فى هذا العصر من بصيرة نقاده ومعرفة تامة بالسنة ومتونها وأسانيدها ،فتراهم غربلوا الرواة وأقصوا كثيرا منهم عن حظيرة السنة والتمتع بشرف روايتها كما ميزوا الأحاديث، فحديث علموا صحته وعملوا به،وحديث علموا بكذبه فتركوه،وحديث تبين لهم ضعفه فلم يعتمدوا عليه وحده،وحديث اشتبه أمره فتوقفوا فيه حتى يظهر حاله وينكشف أمره،وتراهم يأمرون بحمل جميع ما يسمعونه لينتقوا منه الصحيح حتى أصبحوا بحق صيارفة الحديث ونقاد الأسانيد ".(٢)

---

(١) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية (١/ ١٠٤).

(٢) الحديث والمحدثون (ص ٢٧٠).

الشبهة الثانية : (اتهام مالك باستعماله الأسانيد المختلقة)

هذا الزعم خطأ لأن شاخت قد استشهد بأسانيد وردت فى الموطأ مرة مرسلة ومرة منقطعه،ومن ثم أصدر حكمه حول هذا الكتاب ليصل بذلك إلى تجريح الإمام مالك،لكنه أغفل شاخت ان احتجاج مالك بالمرسل هو سبب عدم عنايته بوصل الأحاديث التى وردت فى الموطأ حيث إن استعمال الأسانيد ليست طالعا عاما لعصره،إذ كانت هناك كتب مخصصة لاستعمال الأسانيد مثل مسند معمر بن راشد وغيره .

أما إذا وردت الأحاديث مرة مرسلة ومرة منقطعة فلا يحكم بوضعها أو بإكمال أسانيدها فى فترة متأخرة ، فقد يروى المحدث الحديث الواحد مرة بإسناد متصل وأخرى بإرسال أو انقطاع لاختصار ذلك،وهذا لا يعنى عدم وقوع الخطأ فى الأسانيد لزيادة رجل فيها أو تبديل اسم بآخر بل ووضع أسانيد كاملة لأحاديث موضوعة مما بينته كتب المصطلح وكتب الموضوعات، يقول محمد عجاج الخطيب : " ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أرسلوا الحديث كانوا على جانب كبير من العلم وكانوا يعرفون السند، وإنما لم يذكروه اختصارا [(١)] ويظهر لنا فيما روى حماد بن سلمة قال : " كنا نأتى قتادة فيقول بلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم وبلغنا عن عمر وبلغنا عن على ولا يكاد يسنده،فلما قدم حماد بن أبى سليمان البصرة جعل يقول : حدثنا إبراهيم وفلان وفلان . فبلغ قتادة ذلك فجعل يقول : سألت مطرفا وسألت سعيد بن المسيب وحدثنا أنس بن مالك فأخبرنا بالإسناد "[(٢)].

وهكذا كان الجيل الذى قبل هؤلاء يقولون ذلك ومن ضمنهم

---

(١) السنة قبل التدوين (ص ٢٢٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٢) .

الإمام مالك إضافة إلى أنه كان من الذين يثبتون فى الحديث وسنده ، ومن ذلك ما رواه الربيع قال سمعت الشافعى يقول : " كان مالك إذا شك فى بعض الحديث طرحه كله ".(١)

ويقول مالك بن أنس : " إن هذا العلم دين،فانظروا عمن تأخذون دينكم،لقد أدركت سبعين ممن يحدث قال فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نواة الأساطين وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم،كما أخذت عنهم شيئا وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت المال لكان أمينا،لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن،وقدم علينا عبدالله بن شهاب فكنا نزدحم على بابه ".(٢)

فهذا موقف مالك من الإسناد والحديث،فلو ثبت عنه أنه يختلق الأسانيد لأخبرنا بذلك نقاد الحديث .

لكن الإمام مالك كان يرسل بعض الأحاديث إذا تأكد من شيخه وعدالته وضبطه ، فإنه يرسل الحديث كما فعل بأسانيد سعيد بن المسيب الذى حكم النقاد بصحة أسانيده .

فالمستشرق شاخت حكم على الموطأ ومؤلفه بالضعف أو بالوضع بناء على عدم استعمال مالك للأسانيد، فقوله هذا هو الاختلاق لأن أئمة الحديث قد أثبتوا أحاديث الإمام مالك فى الموطأ وحكموا على أنها متصلة ، سواء من الطريق التى روى بها الإمام مالك أو من طريق أخرى،كما أن هذا الكتاب قد تلقته الأمة بالقبول .

---

(١) الإلماع (ص ٢٢٥) وجامع بيان العلم (١/ ١٣٠ ، ١٣١).

(٢) التمهيد (١/ ٦٧).

ولو تتبع شاخت الإمام مالك ومنهجه لوجده أنه يتحرى المتن وينتقى الأسانيد ولقد شهد له العلماء قديما وحديثا، وقد بين العلماء أحاديث مالك فى الموطأ وأخبروا بأنها صحيحة كلها . ".(١)

الشبهة الثالثة : (ادعاؤهم بأن الرواة يركبون الأسانيد على بعض القصص دون النظر إلى صحتها من عدمه) :

لا شك أن الذين يقومون بهذا العمل هم أهل الأهواء كالقصاصين وغيرهم، أما نقاد الحديث فقد كانوا له بالمرصاد، وقد سبق أن ذكرت بعضا من الأمثلة فى الشبهة الأولى فأكتفى بالإحالة إلى ذلك .

ولكن مع هذا فإن المحدثين قد بينوا هؤلاء وغرضهم واعتبروهم من الوضاعين وأخبروا عنهم ومنعوا الأخذ منهم وأمروا بالأخذ عن الثقات، وقد ألف السيوطى كتابا باسم (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص)، كشف فيه عن زيفه وتركيبهم الأسانيد لبعض القصص المكذوبة، كما فعل بعض الوضاعين فى وضع أسانيد مكذوبة حول كتاب الإسراء والمعراج لابن عباس .

وهذا الكتاب مكذوب على ابن عباس .

وقد أخذ المستشرقون بهذا الكتاب واتخذوا من رواياته مدخلا لاتهام المحدثين بوضع الأسانيد لبعض القصص .

ولهذا فإن جهود العلماء معروفة حول الأحاديث وأسانيدها، فقد ذكر الدكتور السباعى ذلك فقال عن جهود المحدثين لمقاومة وضع الأسانيد : " ومن ثمار هذه الجهود المباركة علم الجرح والتعديل أو علم ميزان الرجال وهو علم يبحث فيه عن أحوال الرواة وأماكنهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان وهو علم جليل

---

(١) انظر الحديث والمحدثون (ص ٢٤٦) .

من أجل العلوم التي نشأت عن تلك الحركة المباركة لا نعرف له مثيلا أيضا في تاريخ الأمم الأخرى وقد أدى إلى نشأة هذا العلم حرص العلماء على الوقوف على أحوال الرواة حتى يميزوا بين الصحيح من غيره فكانوا يختبرون بأنفسهم من يعاصرونهم من الرواة ويسألون عن السابقين مما لم يعاصروهم ، ويعلنون رأيهم فيهم دون تحرج ولا تأثم إذ كان ذلك ذبا عن دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم " . (١)

الشبهة الرابعة : (الادعاء بأن الأسانيد المتصلة وضعها العلماء)

هذا الزعم لا نسلم به بناء على اجتهادات العلماء في ذلك، وقد التزم التابعون بالإسناد المتصل ، ويدل على ذلك ما ذكرناه حول موقف الصحابة والتابعين من الأسانيد والسؤال عنه والبحث عن رجاله من أوله إلى منتهاه، ولهذا عرف ابن كثير الحديث الصحيح المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا ". (٢)

فالإسناد المتصل كان موجودا عكس ما ادعاه المستشرقون، حيث وضع له نقاد الحديث شروطا يمكن قبوله إذا توفرت فيه كما أن المحدثين كانوا يسألون عن الإسناد ليعرفوا من خلاله اتصاله من انقطاعه ، فقد روى ابن عبد البر في ذلك أثرا حيث قال : "كنا نجلس إلى الزهري وإلى محمد ابن المنكدر فيقول الزهري قال ابن عمر كذا أو كذا فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له الذي ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال ابنه سالم ". (٣)

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ١٠٩ — ١١٠) .

(٢) انظر الباعث الحثيث (ص ٢١) .

(٣) مقدمة التمهيد (ص ٢٠) .

ويقول محمد عجاج الخطيب : " وهكذا نرى أن الإسناد المتصل كان قد أخذ نصيبه من العناية والاهتمام فى عهد التابعين وأصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروى ".(١)

كما أن المستشرق روبسون رد على هذه الشبهة يقول : " إن بعض المستشرقين قد فطنوا إلى أن ما يروى عن كبار الصحابة من الحديث أقل بكثير مما روى عن صغارهم وقد رأى أن ذلك يحمل على الاعتقاد بصحة ما نقله المحدثون أكثر مما يتصور ــ المستشرقون ــ إذ لو اختلق المحدثون الأسانيد لكان بإمكانهم جعلها تعود إلى كبار الصحابة ".(٢)

فثبت أن اختلاق الأسانيد قام به الوضاعون الذين دفعتهم أغراضهم العديدة إلى الوضع،ولا يمكن اتهام أصحاب المذاهب وهم الأمناء على الشريعة والحافظون للحديث سندا ومتنا من أن يدخلهما الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم،بل وما عرفنا صحيح الحديث من ضعيفة ولا صدقه من كذبه بل ولا تعديل الرواة أو جرحهم إلا عن طريق هؤلاء النقاد .

---

(١) السنة قبل التدوين (ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦) .

(٢) Robson,J.: The Isnad in Muslim Tradition,p.26

الفصل الثالث

منهج المستشرقين فى نقد الإسناد عرضا ونقدا

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : بعض مقاييس المستشرقين فى معرفة الروايات الصحيحة والضعيفة ونقدها .

المبحث الثاني : اعتماد المستشرقين على المصادر غير المتخصصة فى الحديث ونقدهم فى ذلك .

الفصل الثالث

منهج المستشرقين فى نقد الإسناد عرضا ونقدا

المبحث الأول

بعض مقاييس المستشرقين

فى معرفة الروايات الصحيحة والضعيفة ونقدها

بعض مقاييس المستشرقين فى معرفة الروايات الصحيحة والضعيفة ونقدها .

لقد كان للمستشرقين مقاييس واستدلالات يطبقونها على الروايات الصحيحة والضعيفة وبعض الآثار والحوادث لكى ينسبوا ذلك الأمر إلى مصالحهم ومن ثم يبثون عليها بعض الأحكام التخيلية التى تساند مزاعمهم حول السنة،وبذلك يحرفون هذه الأدلة على ذلك المعيار،وقد استنبطت هذه المقاييس من بعض الأدلة التى وقفت عليها والواردة على لسانهم،وقد أجملتها كما يلى :

١ ـ الحكم على الأحاديث بالوضع قياسا على حكمهم بوضع حديث واحد صحيح .
٢ ـ تصحيح الضعيف من الأحاديث تبعا للرضا عن مدلولها .
٣ ـ الاعتماد على التحليل العقلي في غير موضعه فى إثبات وضع الحديث .
٤ ـ التخيل العقلى فى إثبات صحة الرواية أو ضعفها .
٥ ـ اعتمادهم على المصادر الضعيفة .
٦ ـ اعتمادهم على نظرية النتائج قبل المقدمات .
٧ ـ التحريف فى الآثار لتجريح الرجال .

وهذه بعض المقاييس التى توصلت إليها، ولكن ربط بهذه المقاييس نكون قد عرفنا الطريق التى تبين لنا منهج المستشرقين حول تراثنا الإسلامى ومزاعمهم تجاهه .

وسأعطى بكل مقياس لمحة سريعة مع تمثيل لكل واحد بمثال أومثالين، وحتى نتعرف كيف سلك بعض المستشرقين هذا المسلك لكى يصلوا إلى ما يرمون إليه .

وقد برز فى هذه المقاييس جولد تسهير ، وجب وغيوم ونيكولسن ، ومنستك ولفنسون ووات ، وغيرهم،فإلى الحديث عن هذه المقاييس :

١ — الحكم على الأحاديث بالوضع قياسا على حكمهم بوضع حديث واحد صحيح .

هذا المعيار قد أخذ به جولد تسهير (١) بناء على حكمه حول حديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " (٢) .

ثم قاس عليه جميع الأحاديث الواردة عن علماء الشام ومن ثم حكم عليها بالوضع (٣) .

فهذا المقياس خطأ، لأن المستشرق جعل من نفسه حاكما بقبول الحديث وعدم قبوله، لأنه نظر إلى الحديث من زاوية واحدة وانطلق من هذا الحكم على بقية الأحاديث بناء على أمور يتصورها في ذهنه ووضع الحكم لها مسبقا قبل النظر إلى أقوال العلماء النقاد عن الإمام الزهرى ولم ينظر إلى القرائن الثابته حول هذا النص لأن الحديث قد رواه جمع كثير يحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وربما يصل إلى درجة التواتر، كما أنه لم يأت من طريق واحد، وإنما روى من تسع عشرة طريق، وهكذا فالمستشرق جولد تسهير " حكم على طريق واحد وترك الطرق الأخرى، ومن ثم أصدر الحكم حول هذا الحديث ينطلق نحو الأحاديث الثابتة المروية عن علماء الشام وغيرهم .

(١، ٢) انظر العقيدة والشريعة لجولد تسهير (ص ٥٠ — ٦٤) .

(٣) جولد زيهر (١٨٥٠—١٩٢١) (Gold Ziher, I.)

يهودى مجرى عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه .

تخرج فى اللغات السامية على كبار أساتذتها فى ليدن ، من محررى دائرة المعارف الإسلامية .

من آثاره : " تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى " ، " العقيدة والشريعة فى الإسلام " ، " دراسات إسلامية " .

انظر : المستشرقون (٣ / ٤٠ — ٤٢) والاستشراق والمستشرقون (ص ٣١ — ٣٢) .

إذًا فالحديث لم يأت عن طريق أهل الشام فحسب،وإنما عن رواة ثقات عاشوا فى المدينة والعراق ومصر وغيرها من الأمصار،إضافة إلى أن المستشرق ركز على رواية الزهرى لينال من هذا العالم،لأنه كان الركن المهم لحفظ السنة فى الشام،فتلامذته تبع له بهذا الجرح،لكن المستشرق أخطأ بقياسه هذا،لأن الحكم على الفرد لا يسرى مفعوله إلى الجماعة، مع أن هذا الفرد كان من جلة النقاد وأهل الصنعة .

كما أن هذا الحديث قد تلقته الأمة بالقبول مع وروده فى كتب الصحاح .

٢ — من مقاييسهم تصحيح الضعيف من الأحاديث تبعا للرضا عن مدلولها .

هذا المعيار يغاير الأول،حيث إنه فى هذا المعيار يعتمد الحكم على بعض الروايات الضعيفة لرفعها إلى درجة الصحيح، وهم يريدون إدخال السم فى العسل لكي يتسنى لهم بذلك هدم السنة، وقد برز فى هذا المعيار " جولد تسهير" و " غيوم " و " نيكولسن "(١) و " وات " ويدل على ذلك هذه المزاعم التى أطلقوها فى كتبهم :

---

(١) نيكولسن (Nicholson, R.A.)
مستشرق إنجليزى تخرج فى كلية ترينتي ـ كمبريج أخذ العربية على روبرتسون سميث والفارسية عن أدوارد براون من محررى دائرة المعارف الإسلامية .
من آثاره : التصوف الإسلامى ، كتاب القراءة العربية ، الأدب العربى فى ضوء التاريخ السياسى والعمرانى للعرب والإسلام ، دراسات فى التصوف الإسلامى .
انظر : المستشرقون (٢ / ٢٩٢) والاستشراق والمستشرقون (٣٧)

— يقول " جولد تسهير " و " غيوم " و " نيكولسن " إن حديث " سيكثر الحديث عنى، فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله، فما وافقه فهو عنى قلته أو لم أقله ". (١)

وقد صححه هؤلاء المستشرقون واستدلوا به وبأمثاله من الموضوعات، على أن العلماء الأتقياء (٢) كانوا يضعون الأحاديث فقد كان ذلك العمل مرضيا عندهم بل قربه فى سبيل قيام شريعته ". (٣)

فهذا الحديث قد نقده علماء الحديث وحكموا عليه بالضعف بناء على أنها رواية منفردة منقطعة وقد قال الشافعى عنه : " ما روى هذا أحدا . . . حديثه فى شيء صغير ولا كبير وإنما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية فى شيء ". (٤)

وقال فيه عبد الرحمن بن مهدى: "إنه من وضع الزنادقة " .

وقال البيهقى أيضا : " والحديث الذى روى فى عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس فى القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن ".

وقال الشاطبى عند الكلام عن هذا الحديث : "إن الحديث وحى من الله لا يمكن فيه التناقض مع كتاب الله ". (٥)

---

(١) انظر دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير ترجمة (ص ٩٨) وانظر الجاحظ فى البيان (ص ١١٤) .

(٢) معنى العلماء الأتقياء عنده : الشيعة والخوارج . انظر : دراسات حول جولد تسهير (ص ٥٢٨)

(٣) انظر Gold Ziher,I.: Mohammadan Studies,p.48.
Guillaume,A.: The Tradition of Islam,p.53-54.
Nicholson,R.A.: A Literary History of the Arabs, p. 146.

(٤) انظر الدفاع عن الحديث النبوى (ص ١٠٨)

(٥) انظر المصدر السابق .

وبناء على هذه الأقوال فإن الحديث باطل لا أصل له،وقد رده بعض النقاد وحكموا عليه بذلك .

ولأن الحديث يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقصير فى أمور الدين والله سبحانه وتعالى يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم) (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى ". (٢)

وقد اعتمد المستشرقون على هذا الحديث المقطوع وصيروه صحيحا بغض النظر عن أقوال المحدثين حول الحديث وسنده وبغض النظر عن أصول قبول الرواية وردها عند المحدثين .

٣ — من مقاييسهم اعتمادهم على التحليل العقلى فى غير موضعه فى إثبات وضع الحديث،لقد اعتمد بعض المستشرقين على هذا المعيار لكى يحكموا على الأحاديث الصحيحة بالضعف أو بالوضع وذلك بناء على حلول أوجدوها فى أذهانهم،ومن ثم يطبقونها على الرواية الصحيحة بغض النظر عن وجودها فى كتب الصحاح مع أنه لم يكن لهم معرفة سابقة بمراد الحديث أو سبب وروده بل يأخذون تلك الحلول المأخوذة من تلك الفترة التى يردونه إليها والتى يجمعونها من عند أنفسهم ضاربين بأقوال علماء الحديث عرض الحائط حول هذا النص، وقد برز فى هذا المعيار بعض المستشرقين "كجولد تسهير" و " وفنسنك " وجب " و"نيكولسن"، فكل منهم أخذ حديثا صحيحا ووضع له قرائن عقلية تدل بزعمه أن الحديث موضوع ومن تلك الأمثلة :

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) انظر سنن ابن ماجه (١٠٢٥/١) باب ٨٤ ك ٢٥ ومسند الإمام أحمد (٢٦/٣) .

١ — ما زعم جولد تسهير " بأن الحديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " .(١)

موضوع،واحتج على وضعه بأن الزهرى انفرد به وكان صديقا لعبد الملك بن مروان،هذا وهو الذى بنى قبة الصخرة فى القدس ليصرف الناس عن حج بيت الله الحرام زمن فتنة ابن الزبير فجعل الناس يطوفون حوله كما يطوفون حول الكعبة ".(٢)

فالمعيار خاطئ،لأن الصداقة بين الملوك والعلماء لا تجعل الطرف الثانى يفترى على الدين بناء على هذه العلاقة، فموقف الزهرى بالذات تجاه الخلفاء معروف وقد ذكره العلماء وأشاروا إليه فى كتب التاريخ الإسلامية، وقد كانت العلاقة سائدةً فى تلك الفترة وغيرها باتصال الخلفاء بالعلماء لكى يعرفوهم الفرق بين الحق والباطل .

وبالنظر إلى الحقائق التاريخية حول هذا النص والفترة التى ادعى جولد تسهير وضع هذا الحديث بأن الزهرى لم يكن فى تلك الآونة قد بلغ أشده فى العلم، بل كان شابا فى سن العشرين أو أكثر،كما نقل بعض المؤرخين من المسلمين ولم يلتق بعبد الملك إلا بعد ثمان سنوات من بناء القبة . ولكن المستشرق جولد تسهير أراد أن يحكم على الرواية بالضعف بناء على تخيل عقلى وضعه فى ذهنه،ومن ثم انطلق منه نحو هذه الرواية، وهذا الأمر لم يسلم به نقاد الحديث إضافة إلى أنه قد روى هذا الحديث

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (٣/٦٣).

(٢) Gold Ziher,I.: Mohammadan Studies, II, p. 35.

كثير من الصحابة كما روى من تسع عشرة طريق مع وروده في صحيح البخاري الذى هو أصح كتاب بعد كتاب الله — وتلقته الأمة بالقبول .(١)

٢ — وقد كذب " جب "(٢)

حديث " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ".(٣)

قائلا " إن كثرة الوضع أزعج المحدثين أن يرددوه بوضع هذا الحديث .(٤)

وإذا نظرنا إلى هذا الحديث — سندا ومتنا — رأينا أن المحدثين قد تواتروا على روايته، حيث رواه جمع كثير .. يحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وتلقته الأمة بالقبول كسابقه .

---

(١) Gibb,H.A.R.: Mohammadanism, P.82-84.

(٢) جب هـ. أ. ر (١٨٩٥ — ١٩٧١) (Gibb,H.A.R.)

من مستشرقي إنجلترا المعاصرين ، عضو المجمع العلمي في دمشق والمجمع اللغوى في مصر وأستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية . من كبار محررى وناشرى دائرة المعارف الإسلامية .

من آثاره : الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، والإسلام والمجتمع العربي " والمذهب المحمدى "

انظر : المستشرقون (٢ / ١٢٩ — ١٣١) والاستشراق والمستشرقون (ص ٣١) .

(٣) صحيح البخارى مع الفتح ك العلم باب من كذب على رسول الله (١ / ٢٠٠)

فهل نقبل قول المستشرق في حكمه الذي بينه في عقله، ومن ثم إصداره على هذا الحديث الصحيح الذي خوف الصحابة واحتاطوا من الوقوع في الكذب كما تبعهم في ذلك الأمة لكي لا يكونوا من الذين توعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار .

وبناء على هذه المقاييس التي انتهجها بعض المستشرقين وأعملوا فيها آراءهم ليصلوا بذلك لتضعيف الحديث وتصحيحه أو جرح رجل من رواته أو بتوثيقه حتى يتسنى لهم بذلك هدم السنة أو النيل منها، فقد عبر عن هذه المقاييس جواد علي بقوله :

" لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الأحيان وحكموا بموجبه واستعانوا بالشاذ الغريب فقدموه على المعروف والمشهور واستعانوا بالشاذ ولو كان متأخرا أو كان من النوع الذي استغربه النقاد وأشاروا إلى نشوزه وتعمدوا ذلك لأن الشاذ هو الأداة الوحيدة في إثارة الشك ".(١)

ويقول : " إن كيتاني وهو من كبار المستشرقين الأوائل الذين كتبوا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتمد منهجا معكوسا في البحث يذكرنا بكثير من المختصين الجدد في حقل التاريخ الإسلامي والذين يعملون وفق منهج خاطىء من أساسه إذ أنهم يبنون فكرة مسبقة ثم يجيئون إلى وقائع التاريخ لكي يستلوا منها ما يؤيد فكرتهم ويستبعدون ما دون ذلك، فلقد كان كاتياني ذا رأي فكرة وضع رأيه في السيرة قبل الشروع في تدوينها فلما شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ضعيفها وقويها وتمسك بها كلها ولاسيما مايلائم رأيه ولم يبال بالخبر الضعيف بل قواه وسنده وعده حجة وبين حكمه عليه ومن يدري فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة

---

(١) تاريخ العرب في الإسلام لجواد علي (١ / ٩٥)

والمعروفة عند علماء الأمة ولكنه عفا عنها وغض نظره عن أقوال أولئك العلماء فيها، لأنه صاحب فكرة يريد إثباتها بأى طريقة كانت وكيف تمكن من إثباتها وإظهارها وتدوينها ؟ إذا ترك تلك الروايات وعالجها معالجة نقد وجرح وتعديل على أساليب البحث الحديث ". (١)

٤ — اعتمادهم على التخيل العقلى فى إثبات صحة الرواية وعدمها، لا شك أن بعض المستشرقين يعتمدون على روايات ضعيفة ثم يقومون بالتخيل العقلى لإثبات صحتها بغض النظر على صحتها أو ضعفها، وقد كان من هؤلاء المستشرقين الذين استعملوا هذا المقياس " وات " حيث قال : " إن زيارة محمد لحراء وهو جبل قريب من مكة يصحبه عائلته أو بدونها ليست مستحيلة، ويمكن أن يكون ذلك الفرار من أتون المدينة (٢) خلال فصل الصيف للذين لا يستطيعون التوجيه إلى الطائف يمكن للتأثير اليهودى والمسيحى، ولا سيما مثل الرهبان أو تجربة شخصية لمحمد أن يكون قد أثار فيه الحاجة للخلود والرغبة فيها. (٣)

وقد استشف " وات " هذا الزعم بناء على التخيل العقلى الذى قاسه على جوّ مكة حيث كانت مشهورة بشدة الحرارة ثم اعتبر خروج الرسول من مكة هروبا من ذلك، وهذا مخالف للحقيقة، وما ذكرته كتب السيرة الصحيحة حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب خارج مكة ليتعبد الله فى غار حراء، وليس كما يدعى المستشرق هروبا من شدة الحرارة ولكن كان الله سبحانه وتعالى يهيئه لأمر عظيم وهو حمل الرسالة الخاتمة والخلو صفة من صفات الأنبياء عليهم السلام.

(١) تاريخ العرب فى الإسلام لجواد على (ص ٩٦) وما بعدها .
(٢) الحر الشديد .
(٣) انظر محمد فى مكة (ص ٨١٠) .

إضافة إلى هذا فإن الطائف لم يكن فيها يهود ونصارى كما يدعى هذا المستشرق؛ بل كان هناك مشركون فقط .

فالتاريخ الإسلامي لم ينص على وجود نصارى ويهود بل أخبرنا التاريخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم يخلو بنفسه ليعبد الله وليتفكر في مخلوقاته حتى نزل عليه الوحي، وبهذا المقياس يريد هذا المستشرق أن يصل إلى أن الرسول كان يستمد التعليمات من اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في الطائف، فهذا لم يحدث بناء على الروايات الصحيحة التي أخبرتنا على وجود مشركين فقط .

١ — يقول المستشرق هـ . ج . ويلز (١)

عن الرسول صلى الله عليه وسلم " وحدث في مكة في قرابة (٥٧٠ م) أن ولد محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس دولة وله أطفال وكان اسم أحدهم (عبد مناف) أي خادم الرب المكي (مناف) وذا يدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قد توصل في ذلك الوقت إلى اكتشافات دينية وقيل إنه رأى كنائس مسيحية في سوريا يكاد يكون محققا أنه كان يعرف الكثير عن اليهود وديانتهم أنه استمع إلى سخريتهم من ذلك الحجر الأسود في الكعبة الذي كانت له السيادة على أرباب القبيلة الثلاثمائة ببلاد العرب"

---

(١) واليس ، جون (١٦١٦—١٧٠٣)

تخرج في كمبريدج (١٦٤٠) وكلفه مجلس العموم فك رموز الرسائل الغامضة وعين أستاذا للرياضيات في جامعة أكسفورد (١٦٤٩— ١٧٠٣) .

من آثاره : بحوث العرب عن مبادئ اقليدس ، اللاهوت المؤلفون الرياضيون .

انظر : المستشرقون (٢ / ٤٣) .

ويقول : " لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم دجالا بأى حال وإن كان اعتداده بنفسه يدعو فى بعض الأحيان أن يتصرف كأنما كان الله رهن إشارته وكأنما أفكاره بالضرورة أفكار الله ".(١)

وهذا القياس كالسابق حيث صدر المستشرق مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبنائه ذهنـيا ومن ثم أصدر مزاعمه السابقة مغايرة للحقيقة، وما ورد فى كتب السيرة الصحيحة عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبنائه خلافا لما يدعيه المستشرق فى مقاله هذا مع أنه لم يرتكز على مصدر إسلامى ليبرهن على هذا المقال بل اعتمد على التخيل العقلى بغض النظر على الرواية الصحيحة أو الضعيفة .

لقد صدر هذا المستشرق الرسول صلى الله عليه وسلم كشخص عادى بأنه مؤسس دولة وله أبناء خلافا لما كلفه الله به من الوحي، فقد قام بهذا الأمر وأخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله متمشيا ذلك بما أوحاه الله تعالى من الآيات والمعجزات وغيرها .

إضافة إلى هذا فإن الله قدر رزقه الولد وهو معروفون فى كتب السيرة الصحيحة : القاسم وعبد الله وإبراهيم ولم يكن له غير هؤلاء الأولاد، وقد توفاهم الله تعالى قبل موته وهذه حكمة يريدها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ه — من مقاييسهم اعتمادهم على المصادر الضعيفة :

لو اطلعنا على أبحاث المستشرقين لرأيناها مليئة بالاستشهادات الضعيفة (١) التى يعتمدون عليها من مصادر غير موثقة ثم يصيرونها مصادر صحيحة ومن ثم يأخذون منها مايوافق هدفهم .

(١) انظر الغزو الفكرى (ص٣٠) لمجموعة من العلماء نقلا عن هـ.ج. ويلز معالم تاريخ الإنسان .

(٢) انظر دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسيهير حيث أن أغلب اعتماده على كتب الأدب وغيرها من الكتب الضعيفة .

وبمنهجهم هذا يكونون بعيدين كل البعد عن المنهج المدعى عندهم القائم على الموضوعية والحيادة [١] ومن ثم يصرون على طمس الحقائق، وقد برز في هذا المعيار بعض المستشرقين، ونذكر واحدا منهم وهو " جولد تسهير " ، حيث اعتمد على كتاب اليعقوبي في الحكم على حديث واحد ، فمن الأمثلة على ذلك مازعمه هذا المستشرق بأن حديث " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد " [٢] موضوع، واحتج على وضعه بأن الزهري انفرد به وكان صديقا لعبدالملك بن مروان وعبدالملك هذا هو الذى بنى قبة الصخرة في القدس ... الخ [٣]

فهذا المستشرق أخذ معياره اعتمادا على أحد مصادر الشيعة وهو تاريخ اليعقوبي الذى حكم عليه نقاد الحديث بأن صاحبه فاسق ولا يقبلون منه البتة ، وهذا الرجل أيضا معروف عند علماء الجرح والتعديل .

وهذا المعيار الذى أخذ من مصدر غير معترف به خاطىء ، لأن المستشرق اعتمد على كتب غير متخصصة بعلوم الحديث وهكذا تكون جميع الكتب الأدبيه والقصصية وغيرها التى حكم عليها نقاد الأمة بالضعف وعدم الأخذ منها بأى حال من الأحوال " وقد تحدث عبدالرحمن بدوى حول هذا المعيار وضرب مثلا بكتاب منهج البلاغة الذى وضعه الشيعة وقصدوا من ورائه تأكيد مذهبهم وصحته وأن هذا المذهب مما يقوى به الإمام علي ابن أبى طالب رضى الله عنه والفاحص الناقد إذا تملى كثيرا مما فيه

---

(١) انظر التراث اليونانى (ص ١٩٨) لعبدالرحمن بدوى .

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ك الصلاة باب الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (٣/ ٦٣) .

(٣) انظر : Gold Ziher, I.: Mohammadan Studies, p. 51

منسوبا لعلي رضى الله عنه أيقن أنه مكذوب عليه والتزوير والانتحال يكون بنسبة كتاب كله إلى شخص وهو فيه براء، أو تزوير بعض الأقوال والآراء ويعبرون عنه بالحشو والإكمال أى أشياء تدخل على أصل الوثيقة وهي ليست منها، ولقد كان هذا شائعا فى الثقافة الأوروبية فى العصور الوسطى دون أن يذكر المكمل للكتاب اسمه وإنما يجعله كأنه من عمل المؤلف الأول ".(١)

٢ ـ أما البروفسور " وات " فقد اعتمد على بعض الكتب التى أوردت قصة الغرانيق وهذه القصة لها أسانيد منقطعة ومرسلة، فقد ردها علماء المسلمين وحكموا على وضعها .(٢)

قال " وات " : " إن قصة الغرانيق المراد بها فى بعض كتب التفسير فى قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته).(٣)

قصة صحيحة حيث استطاع الشيطان أن يدس آياته المزيفة فى القرآن بدون أن يلاحظها الرسول أن القصة فى غاية الغرابة، فلابد أن تكون حقيقية فى جوهرها لا يتصور أن يكون أحد اختلق قصة مثلها ثم أقنع جماعة ضخمة من المسلمين أن يقبلوها ".(٤)

فهذه القصة ليس لها أساس من الصحة، وقد ردها علماء الأمة من المحدثين والمفسرين وبينوا زيفها(٥) فالمستشرق أخذ هذه القصة من بعض الكتب غير متخصصة فى الحديث، ومن ثم حكم عليها بالصحة وقاس على هذه

---

(١) مناهج البحث العلمى (ص ١٩٩).

(٢) انظر تاريخ الطبرى (٤ / ٢٢٦ ـ ٢٢٧) ونصب المجانيق فى قصة الغرانيق / لناصر الدين

(٣) سورة الحج آية (٥٢).

(٤) Watt,M.: Muhammad Prophet and Statesmen,p.61.

(٥) انظر تفسير ابن كثير (٣ / ٢٢٩).

الكتب الإسلامية الصحيحة التى هى الميدان الأساسى للحديث النبوى سندا ومتنا .

٦ — اعتمادهم على نظرية المقدمات قبل النتائج .

هذا المعيار يدل على أن بعض المستشرقين يضعون أحكاما فى عقولهم ثم يحولون النص لصالحها بغض النظر عن صحته أو عدمها ، ثم يقومون بدراسة ذلك النص بناء على تلك الأحكام التى اخترعوها قبل أن ينظروا إلى دلالة النص، وقد ظهر فى هذا المقياس " ولفنسون " " ولامانس "، ومن الأدلة على ذلك :

يقول " ولفنسون "(١) :

حول محاولة بنى النضير لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

" لكن المستشرقين ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبها بعدم وجود ذكرها فى سورة الحشر التى نزلت بعد إجلاء بنى النضير والذى يظهر لكل ذى عينين أن بنى النضير لم يكونوا ينوون الضرر بالنبى واغتياله على مثل هذه الصورة، لأنهم كانوا يخشون عاقبة فعلهم من أنصاره، ولو أنهم كانوا ينوون اغتياله غدرا لما كانت هناك ضرورة لإلقاء الصخرة عليه من فوق الحائط

---

(١) ولفنسون إسرائيل :
الملقب بأبى ذؤيب ، مدرس اللغة السامية بدار العلوم ثم بالجامعة المصرية .
من آثاره : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام وتاريخ اللغات السامية ، موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته .

انظر : المستشرقون (٢ / ٤٦٠) .

كان فى استطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحادثهم،إذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه ". (١)

فهذه القصة صحيحة قد ذكرها أصحاب السير وبعض المستشرقين ، لأنها وقعت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لأن بنى النضير نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر المستشرق ذلك الأمر ، لكنه كان يحلل الحدث على حسب ماوضع له من حكم سابق فى ذهنه ، بغض النظر عن أعمال اليهود مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة ومع المسلمين وإلى اليوم وهم يعملون تلك الأعمال حتى يصير الناس لهم عبيدا،وهذا المقياس قد استعمله هذا المستشرق لكى يبرر إخوانه من اليهود بهذا العمل الشنيع ولكن الله قد أظهر فعلتهم فى تلك الحادثة على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

- أسقط بعض المستشرقين أجزاء من الأحاديث أو الآثار لغرض وضع له حكما سابقا فى ذهنه لكى يسيء بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم أو لغرض النيل من رجال الحديث،ومن ذلك مافعله مرجليون حول حديث " إنما حبب لى فى دنياكم الطيب والنساء" (٢) وبتر عجز الحديث " وجعلت قرة عينى فى الصلاة" حتى يظهر شخصية الرسول مشغوفة بأمور الدنيا ". (٣)

فهذا الحديث صحيح ورد فى كتب السنة وقد قبله رجال الحديث بعد أن نظروا إلى مدى تحقيق شروط القبول فى سنده ومتنه والتى تحكم على الحديث بالضعف أو بالصحة ولكن المستشرق أراد أن يبتر عجز الحديث

---

(١) ولفنسون تاريخ اليهود فى بلاد العرب (ص ١٤٥-١٤٦) .

(٢) انظر النسائى ك السهو (٣/ ٦٢) ومسند الإمام أحمد (٢/ ٨٠)

(٣) انظر الاسلام فى مواجهة التغريب (ص ٣٣٦) السنة ومكانتها فى التشريع (ص ٢٢) ومجلة البعث الإسلامى (ص ٩٤) .

فحكمه موجود في ذهنه مسبقا،ثم استخدم النص بناء على تصوره السابق ، ومن ثم حذف المهم في الحديث وهو المتعلق بالآخرة وأبقى ما يتعلق بالدنيا ليصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالشهوة،وذلك لكثرة الأزواج التي تحته،وهذا القياس كان مائل الكفة، حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم استعمل خصيصة التوازن في شؤونه كلها مأكله ومشربه وفي ملبسه ومسكنه وفي عبادته مع ربه لم يغلِّب شيئا على حساب شيء آخر، ولهذا فإن المستشرق أراد أن يسلب هذه الخصيصة من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بناء على أحكامه الخاطئة التي لا تعتمد على الموضوعية والحيادة وإنما تعتمد على الهوى والميل بالنصوص عن جادة الصواب .

٧ ــ التحريف في الآثار لتجريح الرجال .

في هذا المعيار أراد بعض المستشرقين أن يحرفوا بعضا من الآثار من العلماء الثقات ليصلوا بذلك إلى تجريحهم وخاصة رجال الحديث الذين حافظوا على السنة ودافعوا عنها وقد حرفوا بعضها بحذف بعض الحروف أو زيادة عليها ،ومن ثم يصلون إلى أن علماء الحديث قد وصفوا أحاديث تخدم مصالحهم أو مصالح الدولة،وقد نهج المستشرقون هذا المنهج ليحولوا مجرى الأمور إلى مصالحهم ثم يصدرون المزاعم ضد السنة ورجالها،ونضرب أمثلة على ذلك منها :

أ ــ يقول " جولد تسهير" إن الزهري اعترف اعترافا خطيرا في قوله الذي رواه عن معمر " إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث"(١) لقد حرف هذا الأثر "جولد تسهير" للوصول إلى أن رجال الحديث كانوا يضعون الأحاديث للدولة .

---

(١) انظر دراسات في الحديث النبوي بجولد تسهير (ص ٣٨ــ٣٩) ترجمة (ص ٨٥) .

ولكن لو نظرنا إلى هذا الأثر فى كتب التاريخ لرأينا خلاف زعمه ، فقد ذكر هذا الأثر ابن عساكر فى تاريخه وابن سعد فى طبقاته " أن الزهرى كان يمتنع من كتابة الأحاديث للناس،ويظهر أنه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكرتهم،فلما طلب هشام وأصر عليه أن يملى على ولده ليمتحن حفظه،وأملى عليه أربعمائة حديث خرج من عند هشام وقال بأعلى صوته،" يا أيها الناس إنا كنا منعناكم أمرا قد بذلنا الآن لهؤلاء وأن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث .[1] فتعالوا حتى أحدثكم بها فحدثهم بالأربعمائة حديث ".[2]

هذا هو الأثر التاريخى الوارد عن الزهرى مخالفا لما أورده جولد تسهير فى كتابه،ولو جاء كما قال لوافقناه على زعمه ولكن رجال الحديث ونقاده كانوا خلافا لما يظن جولد تسهير فإنهم وقفوا ضد الوضاعين وكشفوا أمرهم للناس جميعا، وهذه منقبة للزهرى حيث تمسك بالمساواة فى رواية الحديث للأمراء وللعامة على حد سواء .

ب ـ ذكر جولد تسهير أثر ورد على لسان عبد الرزاق بن همام عن معمر ابن راشد الذى كان ممن يسمع من الزهرى وهو أن الوليد بن إبراهيم الأموى جاء إلى الزهرى بصحيفة وضعها أمامه وطلب إليه أن يأذن له بنشر أحاديث فيها على أنه سمعها منه،فأجاب الزهرى على ذلك من غير تردد كثير وقال له : من يستطيع أن يخبرك بها غيرى .

---

(١) انظر جولد تسهير حرف الكلمة من (من كتابة الأحاديث) إلى (كتابة أحاديث) .

(٢) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ٢٢٠) جولد تسهير دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير(ص ٣٨) ترجمة ـــ عبد الناظر (ص ١٥) .

فقد صرف جولد تسهير الأثر من قوله " من يخبرك " إلى قوله " من يخيرك " .(١)

جـ ـ أما ما نقله "جولد تسهير" من قول وكيع عن زياد بن عبدالله البكائى من أنه كان مع شرفه فى الحديث كذوبا ".(٢)

فهذا أيضا تحريف من هذا المستشرق، فأصل العبارة كما وردت فى التاريخ الكبير للإمام البخارى: وقال عقبة السدوسي عن وكيع : هو أى وكيع بن عبدالله أشرف من أن يكذب ".(٣)

فهذه بعض الأمثلة الواردة فى هذا القياس الذى اتبعه بعض المستشرقين لكى ينطلقوا من خلال ذلك إلى تجريح علماء الأمة ونقادها بناء على ما فعلته أيديهم بالآثار الواردة عن علماء الحديث بغية الوصول إلى تكذيب ما رووه عن الصحابة وكبار التابعين .

وبعد أن وقفت على بعض من مقاييس المستشرقين التى طبقوها بعد على بعض النصوص الحديثة وبعض الآثار والتى كانت بعيدة كل البعد عن الصواب لأنها ابتعدت عن المنهج العلمى المدعى القائم على الموضوعية والحيادة حيث يقول الأستاذ أحمد مارسيء " إن هؤلاء الأساتيذ" المستشرقين" لم يأخذوا العلم عن شيوخه وإنما تطفلوا عليه تطفلا وتوثبوا فيه توثبا ومن تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسيس ثم أدخل رأسه فى أضغاث أحلام أو أدخل أضغاث أحلام فى رأسه وتوهم أنه يعرف شيئا وهو يجهله وكل منهم

---

(١) انظر : دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير (ص٨٥) وانظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ٢٢٠) .

(٢) التاريخ الكبير للإمام البخارى (٢ / ٣٦٥) .

(٣) انظر : التاريخ الكبير للبخارى (٢/ ٣٢٩) وانظر دراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير (ص ٤٨) نص الترجمة (ص ٧٩) من دراسة حول جولد تسهير .

إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا فإنما تراه يخبط فيها خبط عشواء، منها ما اشتبه عليه منها رفعه عنده لما شاء وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه حدسا فرجح منه المرجوح وفضل المفضول . (١)

ويقول أنور الجندى : " إن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبى لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويحصون مزاعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة النبى، ومع ذلك لم يتمكنوا فى إثبات أقل شيء جديد بل إذا أمعنا النظر فى الآراء الجديدة التى جاء بها المستشرق (فرانسيس وإنجليز وألمان وبلجيكيين وهولنديين) لا نجد إلا خلطا وخبطا وعلى هذا الاحتمال فهم قد حاولوا إعطاء صورة خاطئة تماما عن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام " . (٢)

وقد كشف محمد أسد " ليو جولد فانس " السر فى محاربة السنة فقال : إن الهدف هو إسقاطها حتى يفتقد المصلحون الصورة التطبيقية الحقيقية بحياة الرسول والمسلمين ولذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته .

ويقول " لكى يستطيع نقدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم فإنهم يحاولون عدم ضرورة اتباع السنة لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتناولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاؤون على أوجه من التفكير السطحى أى حسب ميول كل واحد منهم وبطريقة تفكيره هو وبذلك تنتهى تلك المنزلة الممتازة التى . . . على أنه نظام خلقي وعملى ونظام شخص واجتماعى

---

(١) الرسول فى كتابات المستشرقين (ص ١٦) .

(٢) الإسلام فى مواجهة التغريب (ص ٣٣٥) .

إلى التهافت والاندثار ". (١)

ولا شك أن أخطاء المستشرقين كثيرة سواء ما يتعلق بالصحيح المتفق عليه عند جماهير المسلمين أو الضعيف فيقلبونها على حسب ماتتطلبه نفوسهم للتشكيك في السنة والتاريخ الإسلامي، وقد يخص لنا الدكتورالسباعي أهداف المستشرقين عند ما زار أوروبا للتعرف عليهم ومناقشتهم فكانت على النحو التالي :

١ — إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم .

٢ — تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفا مقصودا .

٣ — إساءة فهم العبارات حتى لا يجدون مجالا للتحريف .

٤ — تحكمهم في المصادر التي ينقلون عنها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في قضايا الفقه .

٥ — إسقاط جزء من الأحاديث لتصويرها بصورة محرفه . (١)

وبهذا الوقوف على بعض مقاييس المستشرقين للروايات الصحيحة والضعيفة والآثار الواردة عن العلماء أصل إلى أن المستشرقين يبنون أبحاثهم على منهج هش ليس مبنيا على ما يدعون من الموضوعية والحيادة وإنما الغرض منه في كثير من الأحيان يجرح علماء الأمة ونقادها والنيل من الدين الإسلامي بشتى علومه ليفتحوا لهم ثغرة يحاولون بها الوصول إلى مآربهم ، ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " .

فقد وقف علماء الأمة لهؤلاء المستشرقين وردوا بعض شبهاتهم بأدلة

---

(١) انظر الإسلام في مواجهة التغريب (ص ٣٣٦) والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (ص ٢٢) ومجلة البعث الإسلامي (ص ٩٤) .

علمية قائمة على الكتاب والسنة والأدلة العقلية الصحيحة والقائمة على التحقيق والتدقيق والتثبت وهذا ما فعله نقاد الحديث من أربعة عشر قرنا فكونوا لنا منهج النقد العلمى القائم على القواعد والشروط السديدة التى تحافظ على العدالة والضبط وما يتبعهما حتى يحفظ هذا الدين كما أراده الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) .

---

(١) سورة الحجر آية (٩) .

الفصل الثالث

المبحث الثاني

اعتماد المستشرقين على المصادر غير المتخصصة في الحديث ونقدهم في ذلك

المبحث الثاني
اعتماد المستشرقين على المصادر غير المتخصصة في الحديث
ونقدهم في ذلك

بعد أن استعرضت بعضا من مناهج المستشرقين في التراث الإسلامي وكيف يأخذون الروايات ويحللونها على ما يحلو لهم بعيدة عن المنهج العلمي الذى يقوم على الحيادة والموضوعية الذى ادعوه، وقد برز في هذا المنهج جل المستشرقين ونذكر على سبيل المثال " جولد تسهير " وجب ولامانس و غيوم و وات وغيرهم " علما بأن هؤلاء المستشرقين قد تطرقوا للدراسات الإسلامية دراسة وتحليلا ولكن مع هذا فقد أساؤوا إليها من جانب آخر لأن بعضهم — وهو الغالب — لا يدرسها للوصول إلى الحقيقة وإنما هو لغرض التشويه والتشكيك ،وهذا يظهر جليا عندما يدرس المستشرق أمورا تتعلق بمجتمعه فإنه يبذل قصارى جهده لأخذ المادة العلمية من مصادرها لنقل الفكرة كما وردت خلافا للدراسات الإسلامية التى يحاول أن يدرسها ، ومع ذلك فسرعان ماتأخذه العصبية والغيرة من الإسلام والمسلمين،فلا يأخذ الفكرة من مصدرها الأصلى بل ينقلها من المصادر الدخيلة على الإسلام والمحكوم عليها بعدم القبول، وهو بهذا العمل يناقض المنهج الذى فرضه على نفسه .(١)

ولكن المستشرقين ابتعدوا عن الموضوعية واتخذوا قاعدة " الغاية تبرر الوسيلة " وجعلوا مصادر الإسلام الكتب التى تخالف ما جاء به الإسلام ويستشهدون بالأحاديث الموضوعة .

---

(١) انظر مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية (ص ٢٠٥ — ٢٤٧ جـ ١)

وبالرجوع إلى كتب المستشرقين ، مثل كتاب جولد تسهير "العقيدة والشريعة " و " دراسات فى الحديث النبوى " وكتب شاخت وغيرهما، نرى أن أبحاثهم تعتمد فى الغالب على كتب الشيعة والأدب والأشعار التى جرحها علماء الأمة وجرحوا كتابها فلا يقبلون فكرة جاءت من كتاب " الأغانى " وتاريخ اليعقوبى و " وحياة الحيوان ، لأن هذه الكتب لا تعتمد إلا على الروايات الضعيفة .

إن موقف الاستشراق من التراث الإسلامى ليس موقفا سليما من ناحية بل كان موقفهم بعيدا عن الموضوعية والحيادة ، ويظهر ذلك اعتمادهم على بعض الروايات الضعيفة والمضطربة عن هذا التراث وخاصة جوانب الصراع وجوانب الخلاف بين الفرق والاهتمام بالنصوص الفلسفية ومحاولتهم طمس الحقائق التاريخية الثابتة التى هى بعيدة عن علماء المسلمين والتى وقعت فى القرون الأولى المتقدمة من تاريخ الإسلام،وادعى المستشرقون أيضا بأن المسلمين قد طوروا تراثهم الإسلامى بسبب اتصالهم بالعالم اليونانى والرومانى وتهويلهم فى هذا الاتصال إلى حد القول إنه أهم معطيات الفكر الإسلامى .

يقول أنور الجندى : " وفى هذا المجال نجد عناية كبرى بالحلاج الذى وقف المستشرق " ماسنيون " حياته على جميع آثاره وبشار وأبى موسى، وكلها شخصيات موضوعة مضطربة لم تكن بالنماذج الكريمة العالية فى التراث الإسلامى، بل أن الاستشراق أولى اهتماما كبيرا بشخصيات هاجمت الإسلام وخاصمت رسوله كابن الراوندى ومسيلمة الكذاب ، وقدم عنها وعن غيرها دراسات واسعة ونشرت باللغة العربية وأن أى مراجعة لدائرة المعارف الإسلامية لتكشف عن هذا الاتجاه الرامى إلى إدخال شبهات الإسلام كمادة أساسية فيه،ونجد هذه المحاولات واضحة فى جميع فروع التراث

والقـــراءات . (١)

كما أن المستشرقين يحاولون البحث عن أى مصدر يخدم مصالحهم أو يساعدهم فى تحريف الحقائق فى الإسلام أو تزوير بعض الأحاديـــث بمساعدة هذه الكتب المدسوسة على الإسلام ، ولعل من الخرافات الـــتى جرى وراءها المستشرقون وأتباعهم فرحين بأنهم التقطوا شيئا ما أطلـــق عليه " معراج ابن عباس "والمكتاب مكذوب ولا يتداوله إلا عامة النـــاس وليس له سند يربطه به ولا رواية ترقى إليه وقد احتفل به المستشرقون وقارنوا بينه وبين الكوميديا الإلهية ". (٢)

وبالرجوع إلى كتب جولد تسهير مثل كتاب " مذاهب فى التفسير" و دراسات فى الحديث النبوى " وغيرها نجده يعتمد على الأفلاطونيـــة المحدثة والغنوصية والتصوف والفلاسفة وأصحاب المذاهب الإسماعيليـــة فى تفسير الحديث النبوى وكتب الأدب والتاريخ التى لا يقبلها علمـــاء الإسلام . (٣)

وقد بنى جولد تسهير استدلالاته حول الحديث على هذه المصادر بعيدا عن مصادر الإسلام كالقرآن وكتب الحديث المعتمدة وحاول بذلـــك تشويه صورة الإسلام والروايات الصحيحة .

يقول السباعى : " والحق أن هذا المستشرق من أقل النـــاس حياء فى مجال العلم فهو كما رأيت يخترع الأكذوبة ويتخيلها ويركب لها فـــى نفسه هيكلا ثم يلتقط من هنا وهناك ما يوهم أنه يؤيده وبما ادعى ولا يبالى أن يكذب فى النصوص أو يغالط فى الفهم ويستدل بما ليس بدليل ويفـــرض

---

(١) انظر الإسلام فى مواجهة التغريب (ص ٣٩٤) .

(٢) انظر مجلة البعث الإسلامى عدد خاص بالاستشراق (ص ٩٣) .

(٣) انظر التراث اليونانى فى حضارة الإسلام ترجمة عبد الرحمن بدوى (ص ٢١٨ — ٢٤١) ودراسات فى الحديث النبوى لجولد تسهير [illegible] — تونس .

عما يكون دليلا قاطعا ولكن ضد فكرته، وليس أدل على تحيزه وبعده عن الإنصاف وتعصبه لآرائه أن يرفض نصوصا قاطعة أجمع على صحتها أهل العلم بنصوص ملفقة من كتاب الحيوان للدميرى أو كتاب ألف ليلة وليلة أو العقد الفريد أو الأغانى أو غيرها من كتب الأدب التى تجمع ما هب ودب وما صح وما لم يصح، فهذا شأن قوم يزعمون التجرد للعلم ؟! ." (١)

فهذه شهادة رجل مسلم زار المستشرقين فى عقر دارهم وتحدث معهم ووضع ما سمعه من بعضهم من الأفكار التى يستندون عليها ويرجعون إليها ويستشهدون بها .

ويبدو أن جماعة المستشرقين قد فهموا كتب التراث الإسلامى القديمة بغية اقتناص الروايات المضطربة والناقصة والمحرفة واستغلوها لإثبات وجهة نظر مسبقة واستعانوا بكتب الأدب والروايات والأشعار لتكون مصادر لأسانيدهم، بينما هذه الكتب لم تكن فى الأساس مصادر علمية للحديث والتاريخ والفقه بل يحرفون الكلم عن مواضعه .

يقول الدكتور محمد الأعظمى : " حتى الآن لم ينتخب المستشرقون لدراسة ظاهرة الإسناد المجال المناسب، لأن كتابات الشافعي وأبي يوسف تبين بكل وضوح أن كتابات المجتهدين والفقهاء ليست مكانا صحيحا لدراسة ظاهرة الإسناد ، وكذلك كتب السيرة لأن السيرة ليست جمع وثائق فحسب؛ بل هى جمع وتنسيق الوقائق مع حذف الأسانيد لإعطاء التسلسل للحوادث . أى أنه حتى كتب السيرة لا تفى بالغرض، ولهذه الأسباب يجب أن تدرس الأسانيد والأحاديث والمسائل المتعلقة بهما فى كتب الأحاديث نفسها لا فى الكتب الفقهية الحديثة لموطأ الإمام مالك مثلا . (٢)

---

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (ص ٢٣٥) .
(٢) دراسات فى الحديث النبوى / لمحمد الأعظمى (ص ٤٣٦-٤٣٧)

ولعل من أهم وسائل المستشرقين حول تراثنا مايقدمون به من نشر الكتب المخطوطة وإخراجها ، ويدل على هذا ما ناله كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى من عناية تنوعت بين التهذيب والتجريد والتلخيص والتقديم والتعريف والتنويه والدراسة ... وحتى صار هذا الكتاب من أكثر الكتب تأثيرا فى الفكر التاريخى والدراسات الأدبية ، مع أن أبا فرج الأصفهانى معروف عند علماء الجرح والتعديل بأنه كذاب يأتى بالغرائب والعجائب بلفظ حدثنا وأخبرنا ، فكيف يؤخذ التاريخ من مثل مرويات هذا الأصفهانى .(١)

كما أننا نجد معظم المستشرقين ينقلون من كتاب الواقدى ليستدلوا به على مزاعمهم فى نقد السنة متجاهلين تماما أن رواياته غير قابلة للاحتجاج بها عند المحدثين لكونه غير ثقة .

أما البروفسور " مرجليوث " وغيره من المستشرقين فيعرفون حكم المحدثين فى الواقدى وكتبه ولكنهم يأخذون آراءهم من كتبه ليوجهوا النقد الكاذب إلى السنة ".(٢)

أما المستشرق : " شاخت " فإنه درس الأقوال الموجودة فى موطأ الإمام مالك وموطأ الإمام محمد الشيبانى وكتاب الأم للإمام الشافعى وفرض النتيجة التى وصل إليها من دراسة الكتب المذكورة على كافة كتب الحديث ، مع أنه يدرك تماما أن هناك فرقا جوهريا بين طبيعة كتب الفقه وكتب الحديث (٣)

---

(١) انظر مجلة البعث الإسلامى (ص ١٤٧ — ١٤٨) .

(٢) انظر اهتمام المحدثين (ص ٥٤٨)

(٣) أصول الفقه لشاخت (ص ٥٥ - ٥٦) .

إذًا هذا يعطينا فكرة واضحة عما يحمله المستشرقون في نياتهم ضد الحديث النبوي والصحابة الكرام،فهم لا ينظرون إلى الجهود الجبارة التي قام بها علماء الحديث للتمييز بين الصحيح والسقيم حتى لا يكاد يبق حديث إلا وقد أصدر علماء الحديث أحكامهم فيه من تعديل أو تجريح لرواته، إضافة إلى أنهم وضعوا القواعد والشروط التي تخدم منهج أخذ السنة كاملا بدون استثناء .

إذًا فكتب السنة معروفة عند علماء المسلمين والتي أعطوها عناية تامة ودونوا فيها ما هو صحيح وأخرجوا ما كان فيه نوع من الشك من حيث التضعيف فخرجت إلى الأمة الكتب الستة التي هي المادة الأساسية لكل الأبحاث الإسلامية . ومع هذا فالمستشرقون يغالطون في ذلك وهم يعرفون مكانة هذه الكتب عند المسلمين .

أما الكتب التي احتوت على الأقوال الفقهية أو الوقائع التاريخية فإن مؤلفيها لم يقصدوا من تأليفها تمييز الروايات الضعيفة من الصحيحة، بل كان قصدهم استنباط الأحكام الفقهية أو البحث عن الحوادث التاريخية حيث في الغالب لم يراعوا فيها شروط المحدثين لثبوت الرواية بل قد نرى أحدهم يسند هذا الحديث إلى نهايته والآخر يدعه بدون إسناد .

أما الكتب التاريخية فلا يهتم مؤلفوها إلا بسرد الوقائع التاريخية وترتيبها حسب الزمن التاريخي دون أن ينظروا كثيرا إلى أسانيدها ورواتها، ولكن المستشرقين انتقوا موادهم لدراساتهم للحديث من كتب السير والأقوال والروايات التي وردت في كتب التفسير وغيرها من الكتب التي سبق أن ذكرتها .

ولهذا فإن " روبسون " يؤيد فكرة " لامانس " في قوله

" بأن الحديث والسيرة ليسا مصدرين متميزين " (١)

ويقول " جولد تسهير: " وعلى كل حال فإن أهل السنة لم يستخلصوا من فكرة النور المحمدى كل نتائجها كما فعل الشيعة، ولكنهم كلما تطوروا بمقدار حماستهم بإيجاد نوع من عبادة محمد وتقديسه تراهم لم يكونوا متشددين فى عدم الاقتراب من نظرية الشيعة فى النبوة والتراث اليونانى" (٢)

يقول د/ السلمى : " لقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السحر والحكايات الشعبية وكتب المنحولة والضعيفة، مثل كتاب الأغانى والبيان والتبيين والبخلاء وعيون الأخبار والكامل فى الأدب وحياة الحيوان ونهج البلاغة وشرحه وغيرها، فهذه الكتب هى مستنداتهم فى الغالب مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة فى الطبرى والمسعودى، مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها ". (٣)

ويقول أنور الجندى : " فقد جرى المستشرقون على إحياء أنواع معينة من التراث ليست من خيرها وفى مقدمتها النصوص الفلسفية وخلافات المذاهب وتضارب الآراء وأبحاث الاعتزال والباطنية، وكل هذا ليس من صميم الفكر الإسلامى ولكن قصدوا من ذلك إحياء تلك الشبهات وإعادة طرح الخلافات القديمة فى و فق الفكر الإسلامى لتمزيق المسلمين شيعا ومن ذلك اهتمامهم بالأدب المكشوف ". (٤)

---

(١) انظر John Ryland Library,: Ibn Ishaq's use of Isnad.
مقالة استعمال ابن إسحاق للإسناد ترجمة أسامة .

(٢) التراث اليونانى (٩ ٠ ٢٣) ترجمة عبد الرحمن بدوى مقالة لجولد تسهير العناصر الأفلاطونية المحدثه .

(٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامى (ص ٥٠٧) .

(٤) [illegible] التغريب (ص ٣٥٣) .

ويقول د / محمد السلمى حول كتاب اليعقوبى : " وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل فى كتابة التاريخ الإسلامى، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا فى التاريخ الإسلامى وسيرة رجاله،مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات،والقسم الثانى كتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي ". (١)

وبهذا أصل إلى أن المستشرقين لم يعتمدوا على المصادر الموثقه المعتبرة عند علماء المسلمين والتى كان ينبغى لهم أن يعودوا إليها، ولكنهم بثوا مادتهم العلمية من الكتب التى لا تتمثل بالمنهجية والموضوعية ، بل وزاد الطين بلة عندما يعرضون التراث الإسلامى على التراث اليونانى والرومانى فشتان بين التراثين ، لأن الأول سماوى والآخرين بشريان ، إضافة إلى أنهم يعتمدون على الفلاسفة وغيرهم،وحيث إن الدين الإسلامى مع هذه الفرق فى نزاع وصراع،فهم يريدون أن يقربوا بينهما لكى ينسبوا للإسلام بأنه ليس نقيا كما يقول علماء الإسلام، بل هو دين مختلط كاليهودية والنصرانية .

ولذا فإننا لا نسلم للمستشرقين ما يقولونه فى ديننا ،وينبغى لنا التوقف فى قبول أقوالهم وتفسيراتهم بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح من الكتب الصحيحة الثابتة .

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامى (ص ٤٣٢).

الخـــــــاتمـــــة

الخـــاتمـــة

نتيجـــة البحـــث :

أما الأمور التى توصلت إليها فهى كما يأتى :

١ – لقد توصلت فى هذا البحث إلى أن الإسناد بدأ منذ عصر النبوة وازداد الاهتمام به فى عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

٢ – أن المقصود بالفتنة التى اختلفت آراء المستشرقين فيها هى فتنة عثمان وعلى ومعاوية رضى الله عنهم أجمعين .

٣ – أن منهج المستشرقين كثيرا ما يقوم على المجازفة والبعد عن الحيادة والموضوعية عكس منهج المحدثين .

٤ – لا فرق بين الجزء الأعلى والجزء الأسفل من الإسناد عند علماء الحديث عكس ما ادعاه بعض المستشرقين من تقسيم الإسناد وهو مغاير للإسناد العالى والنازل .

٥ – بروز جهود المحدثين حول مقاومة الوضع والوضاعين خلافا لما يدعيه بعض المستشرقين .

٦ – أن مقاييس المستشرقين قائمة على التخيلات العقلية البعيدة عن جادة الحق .

بعد الانتهاء من هذا البحث أسأل الله تعالى أن يكون خالصا لوجهه الكريم، فإن أصبت فمن الله فله الفضل والمنة، وإن أخطأت فمنى ومن الشيطان وأستغفر الله العظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس

- فهرس المراجع .
- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الآثار الموقوفة .
- فهرس الآثار المقطوعة .
- فهرس الموضوعات .

" فهرس المراجع "

اشتملت هذه القائمة على أسماء المراجع بنوعيها :

أ ــ المراجع التى تضمنت التأصيل الإسلامى .

ب ــ المراجع التى تضمنت الشبهات من كتب المستشرقين ، مرتبة على حروف المعجم :

١ ــ القرآن الكريم :

٢ ــ الإسلام فى مواجهة التغريب ومخططات الاستشراق والتبشير .
أنور الجندى ، دار الاعتصام ــ القاهرة .

٣ ــ الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم :
د / مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ ــ ١٩٧٩

٤ ــ أصول الفقه :
يوسف شاخت ، ترجمة لجنة دائرة المعارف (الإسلامية) دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ــ ١٩٨١

٥ ــ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :
محمد بن عبدالرحمن السخاوى ، طبعة حسام القدسي عن دار الكتاب العربى .

٦ ــ الإلماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع :
القاضى عياض بن موسى اليحصبى ، تحقيق / السيد أحمد صقر دار التراث ، الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨

٧ ــ اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم :
د / محمد لقمان السلفى ، مؤسسة فؤاد بعينو ، الطبعة الأولى بيروت ١٤٠٨ ــ ١٩٨٧

٨ ـ البا عث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث :
أحمد محمد شاكر .

٩ ـ البحر المحيط / التفسير الكبير :
أبو عبد الله محمد بن يوسف الحيانى ، مكتبة ومطابع النصر الحديثه الرياض .

١٠ـ بحوث فى تاريخ السنة المشرفة :
د / أكرم ضياء العمرى ، مطبعة الإرشاد ، الطبعة الرابعة ، بيروت ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٤

١١ـ البداية والنهاية :
أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير ، مطبعة السعادة القاهرة .

١٢ـ تأويل مختلف الحديث :
أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق محمد زهرى النجار مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة .

١٣ـ تاريخ أصبهان :
أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، طبعة برلين ، ليدن هولندا ١٩٣٤

١٤ـ تاريخ الإسلام :
شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ، القاهره ـ ١٣٦٧

١٥ـ تاريخ الثقات :
أحمد بن عبد الله صالح العجلى ، تعليق وتخريج د /عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ .

١٦ـ تاريخ الخلفاء :
جلال الدين السيوطى ، المطبعة المنيرية ـ مصر .

١٧ـ تاريخ خليفة الخياط :
خليفة الخياط ، تحقيق د / أكرم ضياء العمرى ، مؤسسة الرسالة
دار القلم الطبعة الثانية ١٢٧٩

١٨ـ التاريخ الكبير :
محمد بن إسماعيل البخارى ، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١٩ـ تاريخ الطبرى المعروف بتاريخ الأمم والملوك :
أبوجعفر محمد بن جرير الطبرى ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ
بيروت ، الطبقعة الرابعة ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣

٢٠ـ تاريخ العرب فى الإسلام :
جواد على ، دار القلم ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٧٨

٢١ـ تاريخ اليعقوبي :
أحمد بن اسحاق اليعقوبى ، دار صادر بيروت .

٢٢ـ تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام :
مطبعة الاعتماد ـ القاهرة ١٩٢٧

٢٣ـ تحذير الخواص من أكاذب القصاص :
جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى ـ طبع بمصر .

٢٤ـ تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى :
جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى ، تحقيق
عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة
الثانية بمصر ١٣٨٥

٢٥ـ تذكرة الحفاظ :
أبوعبدالله شمس الدين الذهبى ، دار إحياء التراث العربى
بيروت .

٢٦- التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية :
دراسات لكبار المستشرقين ، ترجمها عن الألمانية والإيطاليـــة د / عبدالرحمن بدوى ، وكالة المطبوعات — الكويت ، دار القيم بيروت — الطبعة الرابعة .

٢٧- تفسير القرآن العظيم :
أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار المعرفة والطباعة والنشر بيروت لبنان .

٢٨- التمهيـــــد :
أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمرى القرطبى ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، طبع بمغرب بأمر من الأمير الحسن الثانى .

٢٩- التميـــيز :
أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، مطبوع مع منهج النقد عند المحدثين تحقيق د / محمد مصطفى الأعظمـــى شركة الطباعة المحدودة — الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٢

٣٠- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة :
على بن عراق الكنانى ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، كلية القاهرة .

٣١- تهذيب التهذيب :
أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية النظامية . الطبعة الأولى — الهند ١٣٢٧

٣٢- توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته :
د / رفعت فوزى عبدالمطلب ، مكتبة الخانجى ، الطبعة الأولى مصر ١٤٠٠ — ١٩٨١

٣٣- توجيه النظر إلى أصول الأثر :
طاهر بن صالح بن أحمد الجزائرى الدمشقى ، دارالمعرفة بيروت

٣٤- توضيح الأفكار لمعانى تنقيح الأنظار :
محمد بن إسماعيل الأمير الحسنى الصنعانى ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - المكتبة السلفية ، المدينة المنورة

٣٥- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله :
أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمرى القرطبى ، إدارة المطبعة المنيرية - مصر .

٣٦- الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع :
أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ، تحقيق د / محمود الطحان ، مكتبة المعارف الرياض - ١٤٠٣ - ١٩٨٣

٣٧- الجرح والتعديل :
أبو محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٣٧٢ - ١٩٥٣

٣٨- الحديث والمحدثون :
محمد محمد أبو زهو ، دار الكتاب العربى ١٤٠٤ - ١٩٨٤

٣٩- دراسات فى الجرح والتعديل :
د / محمد ضياء الرحمن الأعظمى ، الجامعة السلفية ، الطبعة الأولى ، الهند ١٤٠٣ - ١٩٨٣

٤٠- دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه :
د / محمد مصطفى الأعظمى ، المكتب الإسلامى ١٤٠٥-١٩٨٥

٤١- دراسات جولد تسيهر فى السنة ومكانتها العلمية
رسالة دكتوراه من الجامعة التونسية - محسن عبدالناظر ،
١٤٠٤ - ١٩٨٤

٤٢- دفاع عن الحديث النبوى وتفنيد شبهات خصومه :
جماعة من نوابغ العلماء ، الناشر زكريا على يوسف مطبعة الإمام القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٧٧

٤٣ـ الرحلة فى طلب الحديث :
أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى ، تحقيق د / نورالدين عتر ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ـ بيروت ١٣٩٥

٤٤ـ الرســـالة :
محمد بن إدريس الشافعى ، تحقيق أحمد محمد شاكر ١٣٠٩

٤٥ـ الرسول فى كتابات المستشرقين :
نذير حمدان ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانيــة ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦

٤٦ـ السنة قبل التدوين :
د / محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠

٤٧ـ السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى :
د / مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢

٤٨ـ سنن ابن ماجه :
أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقى مطبعة البابى الحلبى بمصر .

٤٩ـ سنن أبى داود :
أبو داود سليمان بن الأشعث ، السجستانى الأزدى ، تعليق عزت عبيد الدعاس ، نشر محمد على سيد ـ حمص ، سوريا .

٥٠ـ سنن الترمذى :
أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، تحقيق أحمـــد شاكر ، دار احياء التراث العربى .

٥١ـ سنن النسائى :
أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر النسائى ، دار الكتاب العـ...

٥٢ـ سير أعلام النبلاء :
شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ـ بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١

٥٣ـ شرف أصحاب الحديث :
أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى ، دار إحياء السنة النبوية ١٩٧١

٥٤ـ شروط الأئمة الخمسة :
أبو بكر محمد بن موسى الحازمى ، مكتبة عاطف ـ القاهرة .

٥٥ـ صحيح مسلم بسرح النووى :
أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، شرح يحيى ابن شرف الدين النووى ، المطبعة المصرية ـ القاهرة .

٥٦ـ الطبقات الكبرى :
محمد بن سعد ، دار صادر ، بيروت .

٥٧ـ العقيدة والشريعة :
إجناس جولد تسيهر ، ترجمة د / محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، دار الكتاب العربى ، مصر الطبعة الثانية .

٥٨ـ الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام :
من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦ ، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤

٥٩ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى :
أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى دار الفكر .

٦٠— فتح المغيث شرح ألفية الحديث :
شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، دار الكتب العلمية
الطبعة الأولى — بيروت ، ١٤٠٣ — ١٩٨٣

٦١— الفصل فى الملل والنحل :
أبو محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم ، مكتبة المثنى —
بغداد .

٦٢— فى تاريخ التشريع الإسلامى :
ن . ج . كولسون ، ترجمة وتعليق د / محمد أحمد سراج ، مراجعة
د / حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، دار العروبة ، الطبعة
الأولى ١٤٠٢ — ١٩٨٢

٦٣— القاموس المحيط :
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، مطبعة مصطفى
الحلبى - الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧١

٦٤— الكامل فى معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث :
عبد الله بن عدى الجرجانى ، دار الفكر ١٤٠٥ — ١٩٨٥

٦٥— الكفاية فى علم الرواية :
أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ، دار الكتب العلمية
بيروت .

٦٦— اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة :
جلال الدين السيوطى ، طبع بمصر ١٣١٧

٦٧— المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين :
محمد بن حبان بن أحمد أبى حاتم البستى ، تحقيق محمود
إبراهيم زايد ، دار الوعى بحلب ، الطبعة الأولى ١٣٩٦

٦٨ـ مجلة البعث الإسلامى (عدد خاص بالاستشراق)
العددان الأول والثانى ، رمضان وشوال ١٤٠٢ تصدرها ندوة العلماء لكهنو الهند .

٦٩ـ المحدث الفاصل بين الراوى والواعى :
الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزى ، تحقيق د / محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩١ـ ١٩٧١

٧٠ـ محمد فى المدينة :
مونتجومرى وات ، ترجمة شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ـ لبنان .

٧١ـ محمد فى مكة :
مونتجومرى وات ، ترجمة شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ـ لبنان .

٧٢ـ المدخل إلى كتاب الإكليل :
الحاكم أبو عبدالله محمد النيسابورى ، دار الدعوة مصر .

٧٣ـ المستشرقون :
نجيب العقيق ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

٧٤ـ مسند الإمام أحمد :
أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨

٧٥ـ معالم تاريخ الإنسانية :
هـ . ج . ويلز ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، نشر لجنة التأليف بالقاهرة .

٧٦ـ معرفة علوم الحديث :
الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابورى ، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الطبعة الثانية ، الهند .

٧٧- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث :
أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ،
دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨ - ١٩٧٨

٧٨- مناهج البحث العلمي :
عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت - الطبعة الثانية .

٧٩- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية :
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، صدر في إطار الاحتفال
في القرن الخامس عشر الهجري .

٨٠- المنتقى في منهاج الاعتدال :
تقي الدين احمد بن تيمية واختصره الذهبي من منهاج السنة ،
تحقيق محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ، القاهرة
١٣٧٤

٨١- منهج كتابة التاريخ الإسلامي :
محمد بن صامل السلمي ، دار الطيبة للنشر والتوزيع ، الرياض
الطبعة الأولى ١٤٠٦

٨٢- منهج النقد عند المحدثين ، نشأته وتاريخه :
د / محمد مصطفى الأعظمي ، شركة الطباعة العربية السعودية
المحدودة ، الطبعة الثانية - الرياض ١٤٠٢ - ١٩٨٢

٨٣- منهج النقد في علوم الحديث :
د / نور الدين عتر ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، دمشق -
١٤٠١ - ١٩٨١ .

٨٤- موسوعة المستشرقين :
د / عبدالرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت - الطبعة
الأولى ١٩٨٤

٨٥ــ نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق :
محمد بن ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ــ دمشق .

٨٦ــ النهاية في غريب الحديث :
ابن الأثير الجزري ، دار الفكر ، مصر ١٣٨٣

٨٧ــ الوسيط في علوم الحديث :
د / محمد بن محمد أبو شهبة ، عالم المعرفة ، الطبعة الأولى
جده ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣

٨٨ــ الوضع في الحديث :
د / عمر بن حسن عثمان فلاته ، مؤسسة مناهل العرفان ــ بيروت
١٤٠١ ــ ١٩٨١

٨٩ــ هدى الساري مقدمة فتح الباري :
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي
دار الفكر .

المراجع الأجنبية

1. Bernard Lewis : The Arabs in History, Published in - 1967, by : Harper & Row Publishers Incorporated, New York, N.Y. 10022.

2. Caetani, L.: Islam Tarihi, Istanbul - 1924, Vol. 6.

3. Coulson, N.J.: European Criticism of Hadith Literatu re in Reeston, A.F.L. Johnstone, T.M. Sergeant R.B. Smith, G.R. The Cambridge History of Arabic Literatu re to the end of The Umayyad Period, Cambridge,1983.

4. G i b b, H.A.R.: Muhammadanism, Oxford, 1979.

5. Gold Ziher, I.: Mohammadan Studies, London, 1971, Vol.II,.

6. Guillaume, A.: The Traditions of Islam, Oxford,1927.

7. Horovitz, Z.: Alter und Ursprung des Isnad Der Islam, 8, 1918.

8. John Ryland Library :
   a). Ibn Ishaq's use of Isnad, Vol. 38, No. 2.
   b). The Earliest Biographies of the Prophet and their Authers.

9. Margoliouth, P.S.: The Early Development of Mohammeda nism, London, 1914.

10. M u i r, S.W.: Life of Muhammad, Edinburgh, 1923.

11. Nicholson, R.A.: A Literary History of the Arabs, Cam bridge, 1966.

12. R o b s o n, J.:
   a). Muslim Tradition, the Question of Authenticity in Memoirs and Proceedings of the Manchester Lit. -- Philasophical Society, 93, (7), 1951-1952.

b). The Isnad in Muslim Tradition in Transac of the - Glasgow Univ. Oriental Society, 15, 1953-1954.

13. Schacht, J.: The Origins of Mohammadan Jurisprudence, Oxford, 1950.

14. Sprenger, A.: On The Origin and Progress of Writing - Down Historical Facts among the Musulmans, J.A.S.B. -- Vol. 125, 1856.

15. W a t t, M.: Mohammad, Prophet and Statesmen.

16. Charles J. Adam: The Authority of the Prophetic Hadith in the Eyes of some Modern Muslim.

17. Abbot. N. : Z u h r i, Glasgow University Oriental Society.

18. Duri . A.A. : A Study on the Beginings of History - Writing in Islam. Glasgow University Orental Society

19. John Ryland : Muslim Traditionists, Glasgow University Oriental society.

فهرس الآيـــات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار الموقوفة

فهرس الآثار المقطوعة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة